10 me. année No 964

Le Caire 24 - 12 - 1951

الرسالة

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

ARRISSALAH

Revue Hebdomadaire Litteraire Scientifique et Artistique

صاحب المجلة ومديرها
ورئيس تحريرها المسئول
احمد حسن الزيات

الإدارة
دار الرسالة بشارع السلطان حسين
رقم ٨١ — عابدين — القاهرة
تليفون رقم ٤٢٣٩٠

بدل الاشتراك عن سنة
١٠٠ في مصر والسودان
١٥٠ في سائر الممالك الأخرى
ثمن هذا العدد ٢٠ مليما

الإعلانات
يتفق عليها مع الإدارة

العدد ٩٦٤ «القاهرة في يوم الاثنين ٢٥ ربيع الأول سنة ١٣٧١ — ٢٤ ديسمبر سنة ١٩٥١ — السنة التاسعة عشرة»

سبعون عاما!

نعم، سبعون عاما طوالا ثقالا لبثناها تحت نير الاحتلال، نحرث وهو يسوق، ونزرع وهو يحصد!

ما كان أصبرنا على النار! وما كان أرضانا بالذل والصغار!

كنا نصبر لأن قلتنا كانت لضعفها لا تستطيع. وكنا نرضى لأن كثرتنا كانت لجهلها لا تدري. والضعف منذ كان سبيل المستأسد إلى الافتراس. والجهل منذ كان دليل المستعمر إلى الفريسة. وهل تنكر طبيعة الحيوان أن يلتقم الحوت الشبوط، أو يلتهم الأفعوان الأرنب؟ أم تنكر مدنية الإنسان أن يستذل الأمريكان السود، أو يستغل الإنجليز الهنود؟ تلك سنة الله في الخلق، لا يبدلها دين ولا يعدلها علم ولا يعطلها مدنية

سبعون عاما طوالا ثقالا قضيناها تحت سلطان الدخيل الباغي! نعمل ولا نريد، وننتج ولا نستفيد! وكان مصدر سلطانه الطاغي أن له ظلا كثيفا يحجب النور، وزفرا خبيثا يضعف الشعور، وإشعاعا وبيئا يسمم الحياة. فلما أراد الله لظله الثقيل أن يخف، ولزفره الوبيل أن يقل، ولإشعاعه المميت أن يتراجع، نفذ إلينا ضوء العلم فرأينا، ورف علينا روح الأمل فتقوينا، وأصبحنا نحن أبناء العرب الذين فتحوا الأرض، وحفدة الفراعين الذين مدنوا الناس، وجها لوجه أمام أبناء القراصين الذين لم يروضوا إلا التجار، وحفدة الصيادين الذين لم يغزوا إلا الأسماك، نقارعهم بالحجة في مجالس الرأي فنقرعهم، ونصارعهم بالقوة على ضفاف القنال فنصرعهم. فإذا أقلقهم الخوف، وأرهقهم الجزع، وتخطفهم الموت، سلطوا آلات الدمار على البيوت الآهلة، وأطلقوا قذائف النار على الجموع الغافلة؛ حتى إذا نهض لإغاثة الأهلين رجال الشرطة، وعددهم لا يربى على المائتين، وسلاحهم لا يزيد على البنادق، زحف عليهم عشرة آلاف من آكلي البفتيك وشاربي الوسكي، تتقدمهم مئات من الدبابات والمصفحات، وتصحبهم آلاف من المدافع والرشاشات، وتظلهم أسراب من النفاثات والقاذفات؛ ثم يعود الأبطال من المعركة (الشمواء) وقد امتقعت الوجوه الحمر، وانقطعت القلوب السود، تتقدمهم سيارات الصليب تنقل الجرحى، وتصحبهم ناقلات الجيش تحمل القتلى، وتظلهم غبرات الخزي تغشى الجباه! ويرجع رجال الشرطة إلى أقسامهم متهللين مختالين يقولون في عجب ودهش وسخرية: أهؤلاء هم الذين جثموا على صدر الوادي سبعين عاما جثوم الكابوس المهلك لا يتحلحل ولا يريم؟ الآن وقد رأيناهم من عيان، وعلمناهم عن يقين، ندرك الحكمة في أنهم منعوا جيشنا السلاح والتدريب، وحرموا شعبنا العلم والتهذيب، فإنهم لا يسودون إلا في الجهل، ولا يستفيدون إلا من الضعف. فإذا ابتلاهم الله بأمة مؤمنة صابرة قوية مستعدة، تكشف سترهم، وتفضح سرهم، حاولوا عداوتها بالمعارضة، ثم حاولوا صداقتها بالمفاوضة، ثم هجموا عليها بالدهاء والرجاء والمصانعة؛ فإذا لم يغن عنهم كل أولئك سلموا لها بالأمر الواقع. فترضى العجوز الشوهاء أن تأكل من فضلات أكسعان، وأن تريق ماء وجهها الداي في سبيل حصة من زيت إيران!

احمد حسن الزيات

محنة مصر محنتنـــــا

للأستاذ محمد البشير الإبراهيمي
رئيس تحرير (البصائر) لسان جمعية العلماء المسلمين الجزائريين

تعاني مصر العزيزة هذه الأيام ، ما يعانيه الحر الأبي أكره على الضيم ، وأريد على ما لا يريد ، وجرع السم مدوفا في الحنظل ، وقطعت أوصاله وهو يشعر ، واستبيحت محارمه وهو يسمع ويبصر ، حتى إذا استيأس من الإنصاف ونفد صبره خطا الخطوة الفاصلة ، وأقدم على تحطيم القيد بنفسه ، وعلى تمزيق الصحيفة التي أملتها القوة على الضعف فقبلها مكرها كمختار ؛ وكانت أهون الشرين ، فأصبحت — بحكم الزمان — أثقل الخطبين

. . .

صممت مصر على حل العقدة التي عقدها السيف يوم التل الكبير ، وأحكم المكر عقدها بعد ذلك في سلسلة من الأعوام بلغت السبعين ، صاحبتها سلاسل من الأحداث والأسباب المصطنعة زادت العقدة تأربا واستحكاما ، وسلاسل من الوعود المنومة تكررت فألفت وفقدت التأثير ؛ وفتحت مصر عينيها على أفظع ما تفتح عليه العيون : تهرم ليشب الإنجليز ، وتجوع ليشبع الإنجليز ، وتموت ليحيا الإنجليز، ويتهدم مجدها ليبنى بأنقاضه مجد الإمبراطورية الإنجليزية ، ويفرض عليها أن تعيش غريبة في وطنها، وأن تمارن على طمس حضارتها ومسخ عقليتها، والانسلاخ من شرقيتها ، والنسيان لماضيها ، وأن تنتبذ من أهلها مكانا غربيا ... وأن تجفف ماء النيل لتفهق به مشارع التاميز . . .

صممت مصر على إحدى الخطتين ، فكانت التي فيها الشرف والكرامة ، بعد أن استنفدت التجارب ، واستفرغت الجهود ، وبعد أن استعرضت الماضي بعبره وشواهده ، فرأت أن ساعة من العمل خير من ألف شهر في الكلام ، وأنها تمارس خصما إن استنجزته الوعد طاول ، وإن تقاصرت أمامه تطاول ؛ فخطت هذه الخطوة واثقة مستبصرة ، وتركت للأقدار ما وراءها ، كما يفعل المظلوم المستيئس من إنصاف ظالمه ، ومن نصر النظارة : يركب الحد الخشن ، ويعتمد على نفسه ، وينادي ربه : « أني مغلوب فانتصر »

رأت مصر — كما رأينا وكما رأت الشعوب المستضعفة — أن السنة قد انعكست ، فأصبحت أيام الحرب أكثر عددا من أيام السلم ، وأن لصوص الاستعمار تشغلهم الحرب عن السلم ، ولم تشغلهم السلم عن الحرب ، فأصبحوا في حرب متصلة الحلقات

وعلمت مصر — كما علم غيرها — أن الشعار الكاذب لحرب ١٤ — ١٨ هو وعود المحاربين للأمم الضعيفة بأن نهاية الحرب هي بداية تحريرهم فليسكتوا إلى حين ، لأن السلاح خطيب يجب الإنصات له ، ويحرم الكلام معه ، فلما انتهت تلك الحرب أمعن اللصوص المنتصرون في استعباد المستضعفين ، وصمت آذانهم عن سماع أصواتهم. وجاءت حرب ٣٩ فتجددت تلك الوعود بألفاظها ، وزيدت عليها نون التوكيد المشددة ، وسيقت تلك الشعوب الموعودة على نفقتها إلى جهنم بأوزار غيرها ، ولمنافع غيرها . فلما خفتت المدافع ، وسكتت المدافع ، عادت طبيعة الكذب والإخلاف إلى مستقرها من نفوس اللصوص ، وعادت الحالة إلى أشنع مما كانت عليه من تحكم واستعباد . وما انتهت تلك الحرب حتى ظهرت عليها أعراض الحمل بحرب أخرى ثالثة ، وأصبح العالم كله استعدادا لها، وأوجد الطغاة المالون في الأرض بذلك مرخصا لطغيانهم ولإسكات الأصوات المطالبة بالتحرير ، وعادت نوبة المماطلة والتسويف والوعود الكاذبة والتعلل بأن الحرب على الأبواب ، فلنحتفظ بهذه الأبواب ، وبأن الديمقراطية في خطر ، فلنتعاون على إنقاذها مجتمعين قبل كل شيء ثم نتناصف. وهم لا يريدون من الديمقراطية إلا سيادتهم واستعلاءهم وتحكمهم في الشعوب والأوطان واستئثارهم بقواتها وخيراتها ، فقالت مصر : إذا كانت الحرب لم تنصفني مع احتراقي بنارها ، وكانت السلم لا تنصفني مع اضطلاعي بوسائلها وتمهيدي لأسبابها ، فلأنتصف لنفسي ، ولآخذ حقي بيدي .. فأقدمت ، وجاءت بها غراء مشهرة الأعلام ، وسنتها سنة حسنة لها أجرها وأجر من عمل بها ، ممن ضاقت به الحيل ، واشتبهت عليه السبل. ولعمري لئن سبقها إلى هذه المنقبة رجال من فارس ، ليلحقنها فيها رجال

من العرب الأشاوش ...

• • •

الآن .. يا مصر . الآن وقفت على مفتاح القضية ، وقد أقدمت فصممى ، واحذرى النكول والتراجع فإنهما مضيعان للفرصة . اجعلى من أرضك صعيدا واحدا واجمعى أبناءك كلهم فيه صفا واحدا بقلب رجل واحد، على الحفاظ والنجدة والاستماتة فى حقك والموت فى سبيله ؛ واجعلى من وجهيك وجها واحدا مستبين القسمات ، واضح السمت ، يراه عدوك فلا يرى إلا الحق مشرقا ، والقضية بارزة العنوان

إن بين السبق والتخلف خطا دقيقا يتجاوزه الحر الأصيل فاذا هو مستول على القصب . وإن بين النصر والهزيمة خطوة ضيقة يخطوها الشهم الشمرى فاذا هو حائز للغلب . وإن المعالى شد حيزوم ، وشحذ عزمة ، وتلقيح رأى سديد برأى أسد ، وتطعيم عقل رشيد بعقل أرشد ؛ ثم استجماع للقوة الداخلية كما يستجمع الأسد للوثبة

ليت شعرى .. لو لم تصنع مصر ما صنعت ، فماذا كانت تصنع ؟ أ كانت تستخذى للغاصب فتبقى مقيدة به ، يعادى فتعادى بلا سبب ، ويحارب فتحارب بلا أجر ولا غنيمة ، ويرضى فترضى بلا موجب ، ويواصل فتواصل على مضض ؟

وكنا نظن أن الإنجليز راجعوا بصائرهم ، وأخذوا من تأديب الزمان بنصيب ، ومحوا سيئة الاستعمار بحسنة التحرير ، وسنوا للمستعمرين الجائرين سنة التعفف — يوم حرروا الهند وباكستان — على ما فى ذلك التحرير من شوائب — ويوم أعانوا سوريا ولبنان على التخلص من البلاء المبين . كنا نعتقد أن تلك البوادر من إنجلترا — لو عادت عليها — أصلح لهـا وأبقى على شرفها ؛ لأن من ثمراتها أن يصير خصومها أصدقاء وأعوانا ، ولكن معاملتها لمصر هذه المعاملة القاسية التى انتهت بالأزمة الحالية — كذبت ظنوننا ، وسفهت اعتقادنا ، وأقرت أعين المستعمرين أعداء التحرير

• • •

إن جمعية العلماء المسلمين الجزائريين ، المعبرة عن إحساس الشعب الجزائرى كله ، تعلن تأييدها للشعب المصرى وتضامنها معه فى موقفه الحازم ؛ ولا تصدها من أداء واجبات الأخوة هذه الحدود الوهمية التى خطها الاستعمار بين أجزاء الوطن الواحد، ولا هذه السدود الواهية التى أقامها بين أبناء الوطن ، لأن العواطف الجياشة كمثانين السيل لا تردها حدود ولا سدود

وجمعية العلماء تحيى جهود الشعب المصرى المجاهد فى سبيل حريته واستقلاله ، وتدعو له بالثبات فى هذا المعترك الضنك ، وبالانتصار فى هذه المعركة الحاسمة ؛ وأن يكون انتصاره آية من الله يثبت بها عزائم المستضعفين ، ويحل بها ما عقد الأقوياء .

وإن الشعب الجزائرى حين يظهر بهذا الإحساس الشريف الطاهر نحو أخيه الشعب المصرى — إنما يقدم جهد المقل من قلوب ملؤها الحب لمصر ، والاعتزاز بأخوة مصر ، والاعجاب بمـا صنعت مصر . وإنه يعتقد أن كل مصرى يخرج عن إجماع مصر فهو مدخول العقيدة ، مغموز النسب ، وأن كل عربى لا يؤيد مصر ، فهو عاق للعروبة ، نا كث لعهدها؛ وأن كل مسلم لا يمين مصر بما يملك فهو مارق من الأخوة الاسلامية الشاملة

البصائر — محمد البشير الإبراهيمى

معركة الذباب!

للأستاذ محمود أبو رية

قامت في الشهور الأخيرة معركة حامية بين مجلتي لواء الإسلام والدكتور حول حديث الذباب(١) فالأولى تتمسك بهذا الحديث وتصر على إثباته ليأخذ الناس به ويصدقوا بمدلوله مرتكنة على أن كتب الحديث قد أوردته ومنها البخاري. وأما الثانية فتدفع هذا الحديث وتستبعد صدوره عن النبي الذي لا ينطق عن الهوى؛ وحجتها ما أثبته العلم وحققته التجربة من ضرر الذباب وأنه ناقل للعدوى في أمراض كثيرة

وإن المرء ليأسى أن يقوم إنسان في هذا العصر الذي زخرت فيه بحار العلم وأخرجت من درر المخترعات والمستكشفات ما يدهش العقول، وتسابق أهلوه في مضمار العلم ما استطاعوا للانتفاع بما خلق الله لهم وسخره لعلومهم في السموات والأرض متخذين في ذلك كل سبب من أسباب العلم والتجربة — فيشغل الناس بهذه الأبحاث العقيمة التي لا تنفع ولا تفيد بل هي إلى إساءة الدين أدنى وإلى ضرر الناس أقرب

ولقد كان جديرا بمجلة لواء الإسلام التي نرى بين محرريها علماء فضلاء أمثال الأستاذين عبد الوهاب خلاف بك وعبد الوهاب حموده بك أن تسود صفحاتها بسطور في مثل هذا البحث العقيم الذي يفتح ولاريب على الدين شبهة يستغلها أعداؤه ويتوارى منها أولياؤه. وأن تدع الأمر في مثل هذا الحديث إلى العلم وما وصل إليه بأبحاثه الدقيقة وتجاربه الصحيحة التي لا يمكن نقضها ولا يرد حكمها!

وماذا يضر الدين إذا أثبت العلم ما يخالف حديثا من الأحاديث التي جاءت من طريق الآحاد، وبخاصة إذا كان هذا الحديث في أمر من أمور الدنيا التي ترك النبي صلوات الله عليه أمرها إلى علم الناس. وهل أوجب علينا الدين أن نأخذ بكل حديث حملته كتب السنة أخذ تسليم وإذعان! وفرض علينا أن نصدقها ونعتقد بها اعتقادا جازما!

إن الأخذ بكل ما جاء في كتب الحديث أخذ تسليم وإذعان إفراط في الثقة لم يأمر به العلم ومخالف لما وضعه العلماء من قواعد لعلم الحديث. ذلك بأن الذي يجب التصديق به واعتقاده إنما هو الخبر (المتواتر) فحسب؛ وليس عندنا كتاب يجب اعتقاد كل ما جاء به اعتقادا جازما يبعث اليقين إلى القلب غير القرآن الكريم الذي جاء من طريق (التواتر) والذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه

أما الأخبار التي جاءت من طريق الآحاد وحملتها كتب الحديث فإنها لا تعطي اليقين وإنما تعطي (الظن) والظن لا يغني من الحق شيأ. وللمسلم أن يأخذ بها ويصدقها إذا اطمأن قلبه بها وله أن يدعها إذا حاك في صدره شيء منها. وهذا أمر معروف عند النظار من علماء الكلام والأصول والفقه ولم يعارض فيه إلا (زوامل الأسفار) من الحشوية الذين لا يقام لهم وزن

وإذا نحن أخذنا حديث الذباب على إطلاقه ولم نسلط عليه أشعة النقد فإنا نجده من أحاديث الآحاد وهي التي تفيد الظن — وإذا لم يسعنا ذلك في رده بعد أن أثبت العلم بطلانه فليسعنا ما وضعه العلماء من قواعد عامة — ومن هذه القواعد (أنه ليس كل ما صح سنده يكون متنه صحيحا، ولا كل ما لم يصح سنده يكون متنه غير صحيح — بل قالوا — إن الموضوع من حيث الرواية قد يكون صحيحا في الواقع، وأن صحيح السند قد يكون موضوعا في الواقع. ومن القواعد المشهورة: أن من علامة الحديث الموضوع مخالفته لظاهر القرآن أو القواعد المقررة في الشريعة أو للبرهان العقلي أو للحس والعيان وسائر اليقينيات

وإذا قيل إن هذا الحديث قد رواه البخاري وهو لا يروي إلا ما كان صحيحا، فإنا نرد على ذلك بأن البخاري قد روى في

---

(١) نص هذا الحديث: إذا وقع الذباب في شراب أحدكم فليغمسه ثم لينزعه، فإن في أحد جناحيه داء وفي الآخر شفاء. رواه البخاري وابن ماجه عن أبي هريرة، وفي رواية بزيادة (فإنه يتقي بجناحه الذي فيه الداء. وفي رواية ثالثة. إذا وقع الذباب في إناء أحدكم فليمقله منه فإن في أحد جناحيه سما وفي الآخر شفاء وأنه يقدم السم ويؤخر الشفاء. وفي رواية رابعة إذا وقع الذباب في إناء أحدكم فليغمسه كله أو ليطرحه فإن في أحد جناحيه شفاء وفي الآخر داء. وفي رواية خامسة فإنه يتقي بجناحه الذي فيه الداء فليغمسه كله!

كتابه ما اعتبره هو صحيحاً عملا بظاهر الإسناد لا ما ثبت في الواقع أنه صحيح. ومن أجل ذلك لا يلزم غيره بما اعتبره هو. وإذا قالوا حديث (متفق عليه) فليس معنى ذلك أن الأمة كلها قد اتفقت على صحته ، وإنما معنى ذلك أن البخارى ومسلم قد اتفقا على روايته

قال الزين العراقى فى شرح ألفيته « وحيث قال أهل الحديث: هذا حديث صحيح فرادهم فيما ظهر لنا عملا بظاهر الإسناد لا أنه مقطوع بصحته فى نفس الأمر لجواز الخطأ والنسيان على الثقة. هذا هو الصحيح عند أهل العلم المحققين

ولهذه القواعد وغيرها مما عرف من تاريخ الحديث قال عبد الرحمن بن مهدى « لا يكون إماما فى الحديث من تتبع شواذ الحديث أو حدث بكل ما يسمع أو حدث عن كل أحد »

وقال ابن أبى ليلى « لا يفقه الرجل فى الحديث حتى يأخذ منه ويدع »

وقال الأستاذ الإمام محمد عبده « لا أومن بحديث تعرض لى شبهة فى صحته . وليست الشبهة فى النبى وقوله ، ولكنها فيمن روى عن النبى . ولذلك قال الإمام أبو حنيفة فى سبب رده لبعض الأحاديث « ردى على كل رجل يحدث عن النبى بخلاف القرآن ليس رداً على النبى ولا تكذيباً له ولكنه رد على من يحدث عنه بالباطل ، والتهمة دخلت عليه ليس على نبى الله . وكل شئ تكلم به النبى فعلى الرأس والعين قد آمنا به وشهدنا أنه كما قال .. »

على أننا إذا سلمنا كما قلنا بأن النبى صلوات الله عليه قد نطق بهذا الحديث ثم أثبت العلم ضرر الذباب فليس علينا من بأس فى الرجوع عنه وعدم الأخذ به لأنه من أمور الدنيا. وإنما فى ذلك أسوة حسنة بما فعل النبى صلوات الله عليه حينما رأى أهل المدينة يؤبرون النخل فأشار عليهم بأن لا يؤبروه . ولما ثبت بعد ذلك ضرر عدم التأبير وخرج التمر شيصا قال لهم النبى حديثه المشهور « إنما ظننت ظنا فلا تؤاخذونى بالظن ؛ ولكن إذا حدثتكم عن الله شيأ فخذوا به . وفى رواية « إذا أمرتكم بشئ فى دينكم فخذوا به، وإذا أمرتكم بشئ من رأيى فإنما أنا بشر » ثم ختم حديثه بهذه القاعدة الجليلة العامة التى يصح أن تكون دستوراً للمسلمين على مر العصور كلها ، والتى تثبت بحق أن الدين الإسلامى صالح لكل زمان ومكان وأنه صديق العلم وعدو الجهل وهذه القاعدة هى « أنتم أعلم بأمر دنياكم »

أما راوى هذا الحديث وهو أبو هريرة فقد ردوا له أحاديث كثيرة فى حياته وبعد مماته حتى من التى صرح بأنه سمعها بأذنه من النبى صلى الله عليه وسلم مثل حديث « خلق الله التربة يوم السبت » الذى رواه عنه مسلم فى صحيحه فقد قال البخارى وغيره إن أبا هريرة قد تلقاه من كعب الأحبار اليهودى

وإنا نكتفى بهذه الكلمة الصغيرة اليوم ونشكر لحضرة النطاسى البارع الدكتور سالم محمد الذى أثار هذا البحث النافع وندعوه وسائر زملائه الأطباء ثم رجال العلم جميعا من مهندسين وفلكيين وجغرافيين وغيرهم أن يستمروا فى أبحاثهم العلمية النافعة بوسائلهم الصحيحة التى دعا إليها الإسلام ولا يخشوا أحداً فى ذلك « فأنتم أعلم بأمر دنياكم »

المنصورة **محمود أبو رية**

حديث الذباب

للأستاذ محمد أحمد على صالح

روى البخارى عن أبى هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « إذا سقط الذباب فى إناء أحدكم فليغمسه كله ثم ليطرحه فإن فى أحد جناحيه شفاء وفى الآخر داء » أجاب بعض الأطباء بمجلة « الدكتور » عدد فبراير سنة ١٩٤٩ « بأن هذا الحديث مكذوب وكلام لا يصح أن ينسب إلى النبى مهما كانت قيمة راويه ، ولا الكتاب الذى وجد فيه » ومن هذا التاريخ واليت البحث للحصول على مايؤيد هذا الحديث من الناحية الطبية ، حتى أصدرت مجلة « لواء الإسلام » عدد سبتمبر سنة ١٩٥٠ فتوى بأن هذا الحديث صحيح من ناحية السند ، وذكرت الطرق التى ورد بها هذا الحديث ، وبهذه المناسبة نشرت بمجلة لواء الإسلام عدد أكتوبر سنة ١٩٥١ ذلك البحث الطبى نقلا من « المجلة التجارية الطبية الإنجليزية » عدد ١٠٣٧ سنة ١٩٤٧ ما نص ترجمته : « أطعم الذباب من زرع ميكروب بعض الأمراض ، وبعد حين من الزمن ، ماتت تلك الجراثيم ، واختفى أثرها ، وتكونت فى الذباب مادة مفترسة للجراثيم تسمى « بكتريوفاج » ولو عملت خلاصة من الذباب فى محلول ملحى لاحتوت على « البكتريوفاج » التى يمكنها إبادة أربعة أنواع من الجراثيم المولدة للأمراض ، ولاحتوت تلك الخلاصة أيضا على مادة خلاف البكتريوفاج نافعة ، ضد أربعة أنواع أخرى من الجراثيم — وقد برهن على ذلك الأستاذ الدكتور « دريل » مندوب الصحة البحرية والكورنتينات المصرية فى الهند للبحث عن ظهور الكوليرا بها ، وأنجع الطرق لمقاومتها ، وقدم تقريرا مفصلا فى ديسمبر سنة ١٩٢٧ عما أجراه مع زملائه من الأبحاث الفنية والتجارب العلمية ، فقد ذكر فى تقريره أن « البكتريوفاج » أجسام حية صغيرة جدا أمكن تكوينها ورؤيتها بترسيب ذرات الفضة عليها ، وأنه حصل على البكتريوفاج وتمكن من زرعه وتنميته وإذابته فى الماء ، وأعطى محلوله المرضى بنسب مخصوصة . وزيادة الجرعات وتنظيم تناولها كان المريض ينال الشفاء فى يومين أو ثلاثة ، وأثبت أن الذباب يؤدى عملية أخرى عظيمة من نوع ما تقدم ، ولكن لا أرى من المناسب ذكرها الآن — وأجريت مثل تجارب الأستاذ « دريل » فى البرازيل عن الدوسنتاريا الحادة ، واستعمل البكتريوفاج فى إيطاليا فى علاج الحمى التيفودية ، وكذلك ضد جراثيم الاسنا فيلوكدك فاقار) وبناء على ذلك قلت : إن هذا الحديث معجزة النبى صلى الله عليه وسلم حيث أثبته الطب الحديث بعد أربعة عشر قرنا — وقلت : إن من كتب بتكذيب الحديث يجهل الناحية الطبية — وأثبت فى هذا المقال درجة أبى هريرة راوى هذا الحديث من رسول الله ، وحرص الإمام البخارى صاحب « كتاب البخارى » الذى ذكر فيه هذا الحديث على الأحاديث النبوية . وقد علق على هذا البحث الطبى الدكتور « نجيب بك قناوى » بعدد نوفمبر سنة ١٩٥١ من مجلة « لواء الإسلام » مثبتا لوجود « البكتريوفاج » فى الذباب حيث قال بالحرف الواحد : (إنما أود أن أبين باختصار جدا أن مادة « البكتريوفاج » هذه ليست قاصرة على الذباب فحسب ، بل يمكن استخلاصها من كل مكان وحيوان، فهى موجودة بكثرة فى براز الفراخ وبعض الطيور والحيوانات الأخرى ، ومنها الإنسان وحتى الماء والهواء) ثم ذكر مسائل دينية يطلب الإجابة عليها من العلماء الشرعيين ، وأورد عبارة من « للنار » تتعلق بحديث الذباب، ثم ختم عزته تعليقه بشكرى على هذا البحث فى تمحيص حديث الذباب ، خصوصا من الوجهة الطبية : (فإنه قرب إلينا نحن الأطباء بحث مادة « البكتريوفاج » فى الذباب ، ولنا فإنى شرعت من اليوم مع بعض زملائى البكتريولوجيين فى

إجراء بحوث علمية مختلفة على الذباب والبكتريوفاج أى ملتهم الجراثيم سأنشرها عند ظهور نتيجتها ، لعلها تبين بطريق أوضح سر معنى حديث الذباب . ومهما قنا من أعمال وبحوث فـإ زلنا عند قوله تعـالى : « وما أوتيتم من العلم إلا قليلا » . وقد رددت على أسئلته الدينية فلم تنشرها لواء الإسلام — ثم عاد طبيبنا الأول فكتب فى مجلة الدكتور عدد أكتوبر سنة ١٩٥١ ضد هـذا الحديث — كما عاود الـكتابة فى عدد نوفمبر سنة ٩٥١ من هـذه المجلة أيضا وأيده فى ذلك ثمانية من الأطباء المحترمين فى هـذا العدد بالذات — ونظرا لمـا ورد فى مقالات الطبيب الأول وفى بعض المقالات الثانية حينما أرادوا معالجة « حديث الذباب » أوقعوا أنفسهم فى مضاعفات دينية اتسع عليهم فيها الجرح ، فذكروا أحاديث مكذوبة نسبوها إلى رسول الله ، وفسر بعضهم آيات قرآنية على غير ما أريد منها ، وتقولوا على فقهاء الدين وبعض العلماء الأجلاء ما لم يقولوه ورددت على هؤلاء الأطباء التسعة ، وطلبت من مجلة الدكتور نشره فى المكان الذى نشرت فيه مقالات الأطباء الثمانية ليطلع القراء الـكرام عليـه كما اطلعوا على هـذه المقالات المذكورة ، تمشيا مع حرية النشر ، وبسط الآراء لجمهور القراء ، ووقوفهم على الحقيقة ، وتصحيحا للأخطاء الدينية التى وردت فى مقالاتهم خشية أن يعتقد بصحتها من لا دراية له بهـذه المسائل . وبكل أسف لم تنشر هذه المجلة الرد بحجة « أنى تهجمت على الأطباء ، وأن الرأيين نشرا على الجمهور : رأى المؤيدين للحديث ، ورأى الأطباء المخالفين. فعلى كل إنسان أن يختار بين أبى هريرة ، وبين شتى الأمراض التى ينقلها الذباب »

قلت لعل الأمر انتهى إلى هذا الحد وأقفل باب الـكتابة فى هذا الحديث ، ولـكن عاود طبيبنا الأول الـكتابة فى هـذا الموضوع للمرة الثالثة غير الأولى وأباحت له المجلة ذاتها النشر بعـد ما منعت ردنا على الأطباء الثمانية فقال فى عدد ديسمبر سنة ١٩٥١ : « فالبخارى رحمه الله مظلوم ، ولا ذنب عليـه ، ولم تعز فراسته ما خفى بين طياته « أى الحديث » من شر وعبث بالصحة ، وبهذا الدين الحنيف ، ولا لوم على البخارى فقد وثق بإنسان فدس عليه هذا الحديث — ولو كان البخارى فى زمانه يعلم مضار الذباب التى أثبتها العلم والطب ، لاستحى من تدوين هذا الحديث المزعوم مهما كان مركز راويه » ثم تـكلم على حديث الآحاد ، وحـل حديث تلقيح النخل على غير ما يراد منه

فهل تـسمح لنـا « مجلة الرسالة الغراء » وتسعفنا ببسط ردودنا على هذه المقالات على صفحاتها وهى المنبر الحر الذى لا يخشى فى الحق لومة لائم ، وأنها عودتنا والقراء أن نقرأ لهـا البحوث الدينية والعلمية والأدبية والآراء الحرة حتى تخلص البخارى من هذا الوصف الذى لا يتناسب مع مركزه ؟

يتبع

محمد أحمد على صالح
من علماء الأزهر

٩ - الثورة المصرية ١٩١٩

للأستاذ أبو الفتوح عطيفة

وحشية الإنجليز :

فقد الانجليز كل معنى من معانى الإنسانية وانقلبوا وحوشا آدمية يسفكون الدماء بغير مبرر ويهاجمون المنزل الأبرياء لغير ما سبب . وليس هذا بجديد عليهم فتاريخهم الطويل يشهد بأنهم أمة من السفاحين والقراصنة . وإنى أحدثك أيها الأخ الكريم اليوم عن فظائع الانجليز فى مصر قديما وحديثا

من ٢٩ نوفمبر — ٦ ديسمبر ١٩٥١ :

استيقظ سكان بور سعيد فى الساعة السادسة صباحا من يوم ٢٩ نوفمبر ١٩٥١ على أزيز الرصاص يتجاوب فى أنحاء مدينتهم فقد انطلقت سيارتان بريطانيتان خرجتا من باب الجرك دراحتا تطلقان النار على كل من تصادفه فى الطريق . ومرت السيارتان بمبنى قسم أول وأخذ جنودها يطلقون الرصاص على القسم وجنود البوليس واستشهد جنديان ومات بعض المدنيين . وكان طبيعيا أن يرد البوليس المصرى العدوان بمثله . حدث هذا فى الوقت الذى كان يسعى فيه المسئولون المصريون والانجليز فى الاسماعيلية وبور سعيد والسويس إلى العمل على وقف حوادث العدوان المتبادل بين المصريين والانجليز ، والذى ذكر فيه أن الجنرال أرسكين قائد القوات البريطانية فى منطقة القنال قد أصدر أوامره باعتبار « بور سعيد والاسماعيلية والسويس » من المناطق المحرمة على الجنود البريطانيين

وقد اتفق المسئولون المصريون والانجليز فى هذا التاريخ على جلاء الجنود البريطانيين عن المدن الثلاث وترك شئون الأمن فيها لرجال البوليس المصرى فهدأت الحالة نوعا فى الاسماعيلية . ولكن متى كان للانجليز وعد ؟ لقد حنثوا بوعدهم فى نفس اليوم وبلغ بهم التجرد من الإنسانية أن انتهكوا حرمة الموتى وعبثوا بجثة ميت كانت منقولة من القاهرة إلى السويس وراحت قواتهم تجوب السويس بصورة استفزازية

وفى يوم الاثنين ٤ ديسمبر ١٩٥١ روعت السويس بحرب إجرامية بشعة شنها عليها الانجليز السفاكون استشهد فيها عشرون من المواطنين الأبرياء وبلغ عدد جرحاها ثمانية وستين جريحا، وقضت السويس يومها من الحادية عشرة صباحا إلى التاسعة مساء وكأنها ميدان حرب لا تسمع فيه إلا طلقات المدافع والبنادق وأزيز الطائرات !

وفى يوم الثلاثاء ٤ ديسمبر أصبحت السويس المجاهدة وفى أرجائها صمت رهيب يتوج جلال حدادها على شهدائها الأبرار ، بتشييع جنازات الشهداء فى أربعة مواكب وطنية رائعة ساوت فيها جميع طبقات الشعب ومختلف الهيئات وقد قدر عدد المشيعين بنحو ١٥ ألفا

ولكن الانجليز ارتكبوا أشنع العدوان فى هذا اليوم أيضا ، فلم يكفهم ما أراقوا من دماء فى اليوم السابق بل زادوا إثمهم إثما وعدوانهم وحشية وفظاعة : فقد خرج الأهلون يشيعون جنازة أحد الشهداء قبل نقلها إلى الزقازيق وكانت بعض الطائرات الاستكشافية البريطانية تحلق فى السماء فأبلغت القيادة البريطانية الأمر على أنه زحف شعبى على المعسكرات فخرجت قوة من ثلاث دبابات وأربع مصفحات وبضع سيارات مسلحة أخرى وأخذ جنودها يطلقون النار على المشيعين والأهلين ورجال البوليس والدور القريبة . وسقط فى هذه المجزرة ١٤ شهيدا وجرح ثلاثون . وقد ثبت أن الانجليز يستخدمون رصاصا من طراز « الدمدم » الشديد الفتك

وفى يوم الأربعاء شيعت السويس شهداء المجزرة الثانية واشتركت جميع هيئات الشعب فى الجنازة وكان يتقدمها محافظ

المدينة

وقد رفضت السلطات البريطانية الترخيص بنقل جثث الشهداء من غير أبناء السويس إلى بلادهم

ورغم هذا لم يكف المعتدون عن عدوانهم فأطلقوا فى الجو أسرابا من الطائرات الاستكشافية والنفاثة ذات الأزيز المفزع وسيروا قافلة كبيرة من الدبابات والمدرعات واللوريات لمحاصرة المدينة

وقد دفع جمود الحكومة المصرية إزاء هذه الحوادث المحزنة الطلاب إلى القيام بمظاهرات فى القاهرة والاسكندرية والجيزة احتجاجا على هذا العدوان الغاشم . وقد قررت الوزارة تعطيل الدراسة بتلك المدارس . ونحن نحب أن يخلد الطلاب إلى الهدوء حتى تتمكن الحكومة من مواجهة الموقف ولكنا نقول لرجال الحكومة : تحركوا وإلا فسينفجر غضب الشعب . أن المصريين لا يطيقون صبرا أن يروا دماء مواطنيهم تسفك دون أن يحركوا ساكنا

ويعزينا بعض العزاء أن أبطالنا من المقيمين بمدن القنال والفدائيين قد أخذوا بثأر قتلانا فقتلوا من الأعداء ٤٢ اثنين وأربعين قتيلا وجرحوا ٦٧ ، وأن شهداءنا فى الجنة وقتلاهم فى النار

أيها الإنجليز :

أعلموا أن مصر أقوى منكم وأن قواتكم مهما بلغت عددا ومهما جلبتم لها من عدة وعتاد ان تقهر مصر لإن مصر مؤمنة بحقها فى الحياة الكريمة الحرة ، ولن تخضع لقوتكم وجبروتكم ومهما بغيتم فمصر صامدة وهى منتصرة بإذن الله

وقائع ١٩١٩ :

فى ٨ مارس ١٩١٩ بدأت ثورة مصر باعتقال زعمائها ونفيهم خارجها فهبت مصر من أقصاها إلى أقصاها تطالب بحريتها واستقلالها وعودة زعمائها ، وقامت المظاهرات فى كل قرية ومدينة ثم خرب الشعب طرق المواصلات فقطع خطوط السكك الحديدية وأسلاك البرق والتليفون

ومنذ البداية لجأ الانجليز إلى القوة الغاشمة وإلى سفك دم الأبرياء المطالبين بحريتهم

وفى ٢١ مارس ١٩١٩ عين المارشال اللنبى قائد عام الجيوش البريطانية فى مصر إذ ذاك مندوبا ساميا فوق العادة ومنح السلطة العليا فى جميع الأمور المدنية والعسكرية، وفى اتخاذ ما يراه من الاجراءات لإعادة النظام والأمن إلى البلاد مع مع تثبيت الحماية

ولما وصل اللنبى إلى القاهرة جمع الأعيان والوزراء وأوضح لهم مهمته وهى تنحصر على حد قوله فى وضع نهاية للاضطرابات القائمة وإزالة أسباب الشكوى وطالبهم بمساعدته على أداء مهمته

وطبقا لهذه الخطة أذاع العلماء والوزراء والأعيان نداء إلى الأمة المصرية فى ٢٤ مارس دعوا فيه الشعب إلى التزام الهدوء والإخلاد إلى السكينة ، ولكن المصريين لم يخدعهم ما قاله اللنبى ولم يؤثر فيهم النداء واستمروا فى كفاحهم

وحدث أن ألقى اللورد كرزون وزير خارجية بريطانيا إذ ذاك أجوبة عن أسئلة وجهت إليه فى مجلس العموم بشأن الحالة فى مصر فقال إن الحالة أقل خطورة من ذى قبل، وأطرى موظفى الحكومة المصرية ورجال البوليس والجيش لإخلادهم إلى السكينة وحسن سلوكهم . واستنتج من سلوكهم أن صفوة المتعلمين والعقلاء فى مصر ليسوا فى صف الحركة الوطنية

وإزاء هذا التصريح أحرج الموظفون واضطروا وقد طعنوا فى وطنيتهم إلى تقديم احتجاج على تصريحات كرزون وقرروا الإضراب من عملهم ثلاثة أيام وقدموا مرائض الاحتجاج إلى السلطان وإلى معتمدى الدول الأجنبية ونفذوا قرارهم

وقد ظلت الاضطرابات قائمة ، وحاولت السلطة العسكرية إصلاح الخطوط الحديدية . ولما أصلح الخط الحديدى الرئيسى بين

القاهرة والاسكندرية وقنال السويس حرم السفر إلا بترخيص من السلطة العسكرية

وقد نزل الجنود البريطانيون فى مختلف أنحاء القطر سواء لإصلاح الخطوط الحديدية، أو للقضاء على الاضطرابات، أو للمحافظة على النظام، فارتكبوا فظائع تقشعر منها الأبدان وتنبو عنها النفوس

العزيزية والبدرشين :

قريتان من قرى مديرية الجيزة كانتا تنعمان بالراحة والسكون. وفى الهزيع الأخير من ليل ٢٥ مارس أو حوالى الساعة الرابعة من صباح ذلك اليوم انقض نحو مائتى جندى انجليزى على القريتين وأحاطوا بها وقصدت شرذمتان صغيرتان منهم منزلى كل من عمدتى القريتين شاهرين أسلحتهم وطلبوا من العمدتين تسليم مالديهما من سلاح ؛ فلم أحدهما مسدسا كان عنده، وأما الثانى فلم يكن لديه سلاح . ومع هذا انقض العساكر داخل المنزلين واقتحموا غرف النساء غير مبالين بما فى هذا العمل من خروج على الآداب والأخلاق، واضطر النساء إلى الاختفاء تحت الأسرة . ولم ينس القراصنة الاستيلاء على ماوجد من مال وحلى، بل إنهم زادوا فجذبوا النساء من شعورهن وانتزعوا حليهن، وبلغت بهم القسوة أن أحدهم مزق أذن سيدة وهو يسلب قرطها

وبعد تفتيش دارى العمدتين انتقل الجنود إلى دور مشايخ البلدتين وقاموا بالتفتيش وبالسلب والنهب المعتادين ، ثم أعلن الضباط بعد ذلك أنهم سيضرمون النار فى البلدتين « وأنه مسموح لكل امرىء أن يأخذ ما فى داره من مال وحلى قبل مغادرته » وبعد قليل أشعلوا النار فى القريتين وساعد على اشتعال النار ما كان على سطوح المنازل من قش وحطب ، وخرج الأهالى المروعون من قريتهم الآمنة لتتلقاهم قوات القراصنة « الأشراف » ولتسلبهم ما حملوا من مال وحلى . ولم يأخذهم حياء فى تفتيش ملابس النساء وأجسامهن !

وكان نصيب من حاول إخماد الحريق أن يصاب برصاصة ترديه قتيلا ، وقد احترقت المواشى حية فى مرابطها

وعند الصباح انصرف الجند عن القريتين وقد أصبحتا قاعا صفصفا، وقبض على العمدتين وسيقا إلى الحوامدية؛ وكانت التهمة التى وجهت إلى العمدتين وقريتيهما الاعتداء على أحد الضباط البريطانيين وإتلاف محطتى الحوامدية والبدرشين . ورغم براءة العمدتين والقريتين فقد عوقبت القريتان بتخريبهما وحوكم العمدتان

وقد أحرق الجنود فى نفس اليوم وبنفس الطريقة قرية الشبانات مركز الرقازيق بعد نهبها

نزلة الشوبك :

فى ٣٠ مارس ١٩١٩ أرسل مركز العياط إشارة إلى عمدة نزلة الشوبك بإحضار العمال اللازمين لإصلاح الخط الحديدى. وفى الساعة الرابعة بعد الظهر وصل قطار حربى ووقف قرب القرية المذكورة ونزل منه الجنود وأرادوا دخول القرية فنصحهم العمدة بالعودة وأخبرهم أنه جلب العمال اللازمين ولكنهم لم يستمعوا لنصحه ودخلوا القرية وأخذوا ينهبون ما يصل إلى أيديهم من مال وذهب بل وطير ودواجن ولم يتعرض لهم أحد

ورأوا إحدى نساء القرية فأسرعوا إليها وراودوها عن نفسها ، فاستغاثت بزوجها الذى أسرع إلى نجدتها، ونزلت هراوته على رأس الجندى الذى كان ممسكا بزوجته فصرعه؛ ولكن رصاصة جندى آخر أردته قتيلا . وقامت معركة بين قوم عزل يدافعون عن أعراضهم وبين قوم نسوا كافة الفضائل وتجردوا من صفات الإنسانية . انطلق الجند يهاجمون القرية ويقتلون من يصادفهم بلا تمييز وينهبون ما يجدون ثم يشعلون النار فى المنازل

وكان القطار الحربى بعيدا عن القرية فرجع القهقرى حتى حازاها وصب عليها وابلا من رصاص مدافعه الرشاشة ، واستمر إطلاق النيران طول الليل ، واختبأ العمدة فى داره ولكن الإنجليز أخرجوه فى صباح اليوم التالى ونهبوا داره وأحرقوها

وساقوه إلى السجن

وقد ارتكب الإنجليز فظاعة وإثما لا يتصوره عقل، فعلاوة على ما سبق قبضوا على أحد مشايخ القرية ومعه أربعة من الأهالي ودفنوهم حتى أنصاف أجسامهم، ثم شوهوا وجوههم بوخزات الحراب، وبعد ذلك أطلقوا عليهم الرصاص فأراحوهم من هذا العذاب

أرأيت وحشية وفظاعة أكثر من هذا؟ إن أحط أنواع البشر لا يمكن أن يصل في وحشيته إلى هذا الدرك، وإن مجازر الإسماعيلية وبورسعيد والسويس لسلسلة متممة لحوادث العزيزية والبدرشين وثلة الشوبك؛ ولكن مهلا وصبرا فإن نهاية هؤلاء الطغاة قريبة إن شاء الله

أبو الفتوح عطيفة

٢ـ المستقبل وأسرار الوجود

بين السببية والمستقبلية

للأديب عبد الجليل السيد حسن

عرض لمشكلة السببية:

حينما نلق بقطعة من القطن في النار فلا نشك في احتراقها، وحينما يأكل الجوعان فلا نشك في شبعه، وحينما تضرب الطفل فلا شك أنه سيبكي. وحينما ترى الغادة الهيفاء والوردة الناضرة فلا شك في إعجابك بجمالها إذا كنت ممن يقدر الجمال في المرأة والزهرة

ولنسأل معنا الآن: ما الذي أحرق القطن، وأشبع الجائع وأبكى الطفل، وأثار فيك مشاعر الجمال؟ ولا أشك في أنك ستجيب على الفور: إن السبب في ذلك هو النار والأكل والضرب والجمال الكامن في المرأة والوردة. ولكن ياصاحبي لا تكن سريع الحكم، وانظر في الأمر وتدبره؛ هل النار حقيقة هي سبب الاحراق؟

ما هذا؟ أتريد أن تخدعني عما أحس وأرى وتقول لي: إن علة الإحراق شيء غير النار؟

— لتعلم أنني لست أريد بك خداعا أو تغريرا، ولكني أريدك أن تكون دقيقا أمينا فيما تشاهد وتدرك، وأن تأخذ الأمور كما ترد إليك لا تزيد فيها ولا تنقص. فما الصلة اللازمة والسبب القاهر الذي يجعلك تسند الإحراق إلى النار؟ أليس هو أنك شاهدت احتراق قطعة القطن عقب إلقائها في النار، ولم تر عينك شيئا أكثر من ذلك؟ إذن ما الذي دفع بك إلى أن تجزم بأن النار هي علة الإحراق؟ لا شيء غير مشاهدة حدوث هذا مع ذاك أو مقارنا له. فكأنه ليس هناك شيء يمكن أن يعد سببا لشيء أو علة له؛ بل هناك تعاقب أو اقتران بين الحوادث، ولا شيء غير هذا؛ فقطع الرقبة ليس سببا في القتل، وكسر الرجل ليس سببا في الألم، ولقاء الحبيب ليس سببا في النشوة التي تصاحبه، وإضاءة المصباح ليست سببا في الضوء الذي يعقبه، وإعطاء المريض دواء ليس هو السبب في شفائه.. وغير ذلك من الأمثال؛ بل كل ذلك ما هو إلا حوادث تعقب حوادث وأشياء تقترن بأشياء؛ أما أن تقول إن هذا سبب ذلك، فهذا مالا يقره العقل

وهذا هو الوضع الصحيح البسيط لمشكلة السببية بين المثبتين الذين يقولون أن لا شيء يحدث بدون سبب؛ وبين المنكرين الذين يقولون أن ليس هناك شيء يمكن أن يعد سببا على سبيل التعيين

ونستطيع أن نخرج من كل ما تقدم بشيء واحد؛ وهو أن الذين أنكروا السببية أنكروها لشيء هو وقوفهم عند ما يشاهدون ويحسون فقط. وأما الذين أثبتوا القول بالسببية فهو وقوفهم عندما يحسون ويشاهدون أيضا. ولكن الفرق بين المنكرين والمثبتين: أن المنكرين قالوا «إن المشاهدة تدل على الحصول عنده، ولا تدل على الحصول به»، وأما المثبتون فقالوا «إن العادة اقتضت أن يتبع هذا ذاك، فلا بد أن يكون هذا هو علة ذاك، وإلا فما الداعي لحدوث هذا التعاقب؟» وقد آمن المثبتون بهذه العادة، وبنواحيانهم وقوانينهم عليها، وقالوا

إن لـكل ظاهرة من الظواهر علة أحدثتها ، ثم خصصوا فقالوا : إن هذه الظاهرة « ب » مثلا ، علتها الظاهرة « ا » ودليلهم على ذلك العادة التى أرتهم أن « ا » تتبعها « ب » دائما . وبينما يؤمن المثبتون بهذا ، يقول المنكرون : إنه لا علة للجزم بأن « ا » لابد أن يتبعها « ب » بل قد يتبعها « حـ » أو « د » من الظواهر ؛ فما العلم سوى قوانين ، وهـذه القوانين لم تستخلص إلا نتيجة للتجارب والشواهد التى فرضنا أن لها عللا معينة ؛ وما دام ليس هناك من سند للقول بالعليـة والسببية ، فإذن من المحال أن يكون هناك علم ، أو لو أردنا الدقة لقلنا إن صحة علمنا موقوفة على صحة ما نسميه عللا ومعـلومات ، وبذلك نتفادى القول باستحالة العلم إلى القول باحتمال صحته ، ولا ضير بعد ذلك ، فالعلم ما هو إلا تسجيل للواقع المشاهد

ولنترك الآن عرض السببية عرضا تاريخيا فى الشرق عند كل من الغزالى وابن رشـد ، وفى الغرب عند كل من « هيوم وكانت» . ولنترك أيضا المقارنة بين هؤلاء جميعا إلى فرصة أخرى ولنخلص إلى السببية والمستقبل

. . .

السببية والمذهب المستقبلى :

إذا شاهدنا ظاهرتين متلازمتين فى المـاضى ، مثل الإحراق واتقاء النار ، أو طلوع الشمس ووجود النور ، فهل يستمر هذا التلازم أيضـا فى المستقبل أم لا ؟ وإذا كان هـذا التلازم والارتباط بين الظواهر ثابتا مستمرا ، فإنه يمكننا بذلك أن نتنبأ بالأشياء التى لم تحدث بالفعل ، وسوف تحـدث فى المستقبل . وحياتك لا شك مبنية على هـذا التنبؤ ، فأنت واثق من وجود النور غدا لأنك على يقين من طلوع الشمس فيه حاملة النور إلى الـكون . ولـكن .. هل خطر بذهنك أن الشمس قد تطلع غدا ولا تنير أو قد لا تطلع البتة ؟ وأنت تنظم حياتك على أن هذه الظواهر المتلازمة فى المـاضى ، لا بد وأن تستمر فى المستقبل ، فأنت على يقين أنك لو ألقيت بهذه النقود الورقية إلى النـار لاحترقت ، أو لو وضعت يدك فى النار لاحترقت ، فأنت لا ترى بنقودك إلى النار ، ولا تضع يدك فيها . وكلمـا يشرب الدواء طمعا فى الشفاء ، ونتجنب الميكروب خوف المرض . والعـالم الطبيعى أو الـكيماوى حينما يعيـد إجراء تجربة ، فهو متأكد أنه سيحصل على نفس الظواهر التى حدثت فى المـاضى

فنحن فى حيـاتنا العملية نتغاضى عن إنكار السببية ، ونتناسى أن الأمر قد يكون مجرد ارتبـاط فقط لا علية فيه . ونحن نعلم تمام العلم أن معرفتنا بالأسباب تجعلنـا قادرين على أن نتنبأ بما سوف يحدث فى المستقبل ، وبمقدار إحاطة علمنـا بالأسبـاب يكون صحة تنبئنا بالمستقبل . ولـكن ذلك لا يغرينا بتكوين رأى ومذهب فى الحياة على تجـاهل أن الأسباب قد تـكون مجرد تلازم ومقارنة لا غير ، وما نعده سببـا ما هو إلا لحـكم العادة والمشـاهدة فقط ؛ فقد يثبت ثبوتا قطعيا أن ليس هناك من شئ يمكن أن يعد سببا ، وخصوصا بعد نظرية الـكم « الـكوانتم » والميكانيكا الموجبة (١)

بيد أن كل ذلك لا يمنعنـا من أن ننظر فى الأمر نظرة مستقبلية نبنى عليها مذهبا فى الحياة ورأيا فى الوجود

. . .

كلما حدث شئ فى الوجود ، أو تغير أمر فى الظواهر الطبيعية ، فلا بد أن هناك قوة أحدثت هـذا التغير ، ونقلت من ثم شيئا كان موجودا بالقـوة إلى الوجود بالفعل ، أو حققت فى الواقع شيئا كان ممكن التحقيق ، وليس هنـاك كائن من كان يستطيع أن ينكر هذه القوة وهذا التغير

ولن تجد اثنين يختلفان فى أن حدوث هذا التغير قد حدث بقوة أو بسبب من الأسبـاب . ولـكن ستجد من يختلف فى : هل هاتان الظاهرتان اللتان يتبع بعضها الآخر . . هل الأولى

(١) الـكوانتم أى المقدار وجمعها كونتات (مقـادير) : هى نظرية قال بها ماكس بلانك الألمـانى وتتعلق بتغير الطاقة ، فالطاقة مكونة من كونتات ، ومن نتائج هذه النظرية أن قضت على الجبرية العلمية ، فالصلة بين الطاقة والإشعاع لا يمكن تعيينهـا بدقة ، وكان كذلك من نتيجة الميكانيكا الموجبة أن ثبت أن حركات الأجسام لا تعرف بالضبط ، لأنها لا تسير على قوانين ثابتة

سبب للثانية ، أم أن الأمر مجرد عادة ومشاهدة .؟ وبعبارة أخرى سنجد من يختلف فى أن الاطراد والتلازم والمقارنة فى الوقوع ، هو علة التغير والحدوث

وهذا الاختلاف الذى هو جوهر مشكلة السببية لا يعنينا أمره كثيرا ، وقد كان يعنينا أمره لو كنا مهتمين بمعرفة مايحدث فى المستقبل بناء على خبرتنا وتجاربنا فى الماضى . ولكن الأمر الذى يهمنا أكثر ، من وجهة النظر المستقبلية ؛ هو إثباتنا الحدوث والتغير ، وشعورنا بوجودنا ؛ بناء على هذا الانتقال المستقبلى ، ونظرتنا إلى الوجود هذه النظرة المستقبلية ؛ لأن كل ما نريد أن نصل إليه هو فهمنا لهذه الحيـــاة كما هى ، وهذا الوجود على حقيقته ، ثم الإفادة من هذا الفهم ، ورسم خطة نسير عليها فى هذه الحياة

فنحن حين نبنى شعورنا بالوجود على النظرة المستقبلية ، وعلى الانتقال المستقبلى الذى يجعلنا نحس بوجودنا (نذكر مثال الرجل الموجود فى الشمس الطالعة والعالم الساكن فى المقال السابق) ؛ وحين نثبت أن وراء الحدوث والتغير قوة سببية حققت الانتقال المستقبلى ـ أى الانتقال من القوة إلى الفعل ومن الإمكان إلى الواقع ؛ إنمـا نرسم لأنفسنا خطة عملية سليمة ، ونهجا نراه قويما ، ومذهبا مستقبليا فى هذه الحياة وهذا الوجود . فنحن نقدس العمل لأنه وسيلتنا فى الانتقال المستقبلى ، وندعو إلى القوة لأنها سبيلنا إلى جعل الممكن واقعا ، ونرى أنه بمقدار سرعة انتقالنا المستقبلى يكون حظنا من الوجود ، وشعورنا به ، وليست العبرة عندنا بطول الوقت الذى يعمره الإنسان ؛ بل بمقدار انتقاله المستقبلى ، وتحقيقه لإمكانياته ، أى بمقدار ما بذل من مجهود ، واستنفد من قوة ، وما استطاع أن يحصل عليه من جراب المستقبل

وإن الشعور بالوجود ، والإحساس بالحياة ، ليتفاوت لدى الإنسان بالنسبة إلى الفعل والعمل الذى يؤديه، والقوة التى يبذلها؛ أو يتفاوت بالنسبة إلى ما يناله من الانتقال المستقبلى ، والتغير الذى يعانيه ، فألف سنة مثلا قد لا تساوى لحظة أو ساعة ، ألف سنة خاملة ساكنة ميتة نائمة ، لا تساوى ساعة حية نشيطة فعالة ، يبذلها الكائن فى استنفاد إمكانيات وجوده

وأرجو أن تطيل التأمل وتنعم النظر ، وتقف طويلا معى عند أهل الكهف الذين أمضوا فى كهفهم ثلاثمائة سنين وازدادوا تسعا ، كانت عندهم بمثابة يوم أو بعض يوم ! ولتنعم النظر أيضا وتطل التأمل فى هذه الثلاثمائة عام نفسها التى عاشتها الأجيال المتتالية من الأحياء ، ولننظر كيف تغير الوجود ، وتبدلت الأشياء بالنسبة إليها ؟ وكيف عاش هؤلاء الناس واستنفدوا بما أتوا من عمل وبذلوا من قوة إمكانيات وجودهم

فوجودنا لا يتوقف خصبه وغناه على طول مدته ، كما لا يتوقف فقره وإعاله على قصره وسرعته ؛ بل على قدر حظنا من الانتقال المستقبلى وشعورنا بالوجود

٥ ٥ ٥

السببية وغريزة الحياة :

لو فرض أننا عرفنا الأسباب كلها بكل دقة وكل تحديد ، وكنا على دراية تامة بها ، على رغم تشابكها وتعقدها وعظم مقدارها ، واستحالة عقل واحد أن يستوعبها ، نقول لو أننا كنا على علم تام بهذه الأسباب على النحو الذى أسلفنا ، تلك الأسباب التى يحدث نتيجة لها كل ما فى هذا الكون . . فماذا يكون حالنا ؟ وماذا يكون موقفنا من هذا الوجود ؟

نريد أن نرى أولا نتيجة علمنا الكامل الدقيق الثابت بالأسباب ومسبباتها ، وبالقوانين والسنن التى يسير عليها هذا الكون .. حينئذ سنرى المستقبل والحاضر والماضى أمامنا ، ونعلم ما حدث وما يحدث فى كل من هذه الأجزاء ، لأن إحاطتنا الكاملة بقوانين الوجود ستريتا : كيف يسير الوجود فنرى كيف سار . وكيف يسير ، وكيف سيسير وسترينا الوجود واحدا ، فنعلم الغيب ونعرف الماضى السحيق ، ويتحقق ما عناه « لابلاس » الفلكى الفرنسى المشهور من معرفة قوانين الطبيعة ، حتى يستطيع العقل الإنسانى أن يرى الماضى والحاضر والمستقبل . ولنستطيع أن نشبه الأمر بمرآة، إذا نظرفيها الإنسان رأى ما مضى وما هو آت ، أو نشبهه بشريط سينمائى يديره

الإنسان فيمر عليه ما نسج من الوجود (الماضى) وما ينسج منه (الحاضر) وما ينتظر النسج (المستقبل)

ونريد أن نرى ثانيا : حالنا وموقفنا من هذا الوجود ، بعد أن يكون الوجود مجرد مرآة أو شريط

سيكون نتيجة ذلك أمراً واحداً ، وهو انعدام الحياة والوجود !

فإن الإنسان إذا تيقن مما سيحدث ورآه ، أو إذا عرف ما سينتقل إليه معرفة كالرؤية — مع ملاحظة أن انتقاله المفروض حينئذ لا يشبه على أى نحو من الأنحاء الانتقال المستقبلى الذى هو علة الحياة — فلماذا سيعمل إذن ؟ ولماذا يجتهد لتحقيق شئ قد رآه ؟ إن الوجود سيفقد لذته لديه ، وسيفقد بالتالى ذلك السر سر الحياة ، وسر الوجود ، وهو الانتقال المستقبلى الذى يشعر الانسان بالحياة وبالوجود ، والذى يشمل الأمل والعزاء والرغبة والرجاء ، والذى يدفعه إلى أن يعمل ليحقق إمكانياته

ولكن .. قد يعمل الانسان لمجرد لذة تحقيق الفعل . أفلا يعمل ذلك الانسان الذى يرى الوجود كشريط أو مرآة ، لمجرد لذة التحقيق ؟

يجب أن نقول إن ذلك الانسان لن يعمل لمجرد لذة التحقيق ، كالذى يشاهد من إنسان لا يرى الوجود كشريط سينمائى أو مرآة ، حين يعمل عملا وجد فيه لذة ما ، فهو يعود ليحقق نفس العمل الذي يعرف نتيجته مقدما ، ثم يعود ليحققه .. ومع ذلك لا يمله ولا يتركه . لن يكون أمر هذا الانسان الذى يرى الوجود ، كأمر ذلك الآخر الذى لم يعرف من الوجود إلا جزئيه ، لأن ذلك الأخير يتمتع بغريزة الحيـاة ؛ أما الأول فبرؤيته الوجود فى مرآة أو شريط ، بناء على معرفته بالأسباب والمسببات سيفقد « غريزة الحياة » وإن لم يفقد الطاقة على العمل . فوجودنا يشمل أمرين : الأول « غريزة الحياة » — وهى هذا الدافع الذى يدفعنا إلى الحياة الناتج من الانتقال المستقبلى ، لأن الانتقال المستقبلى يولد فى الإنسان أشياء منها التوتر والقلق ، والرغبة فى تحقيق الفعل ، والغموض ، وعدم التيقن الذى يدفع بالإنسان إلى الانتقال المستقبلى ليرى سره ، والتعزى عما مضى بما هو آت ، والتطلع الدائم إلى ما يضمه المستقبل بين جنبيه ، وحالة عدم السكون الناشئة من الرغبة فى تحقيق الفعل ؛ وكل هذه الأمور تكون ما نسميه « غريزة الحياة » أو الدفعة التى تدفع الناس إلى الحياة . وأما الأمر الثانى : فهو « الطاقة » التى يعمل بها الإنسان ليحقق الفعل ؛ ولا يكون ثمة طاقة ، إذا لم يكن هناك « غريزة الحياة » ، ولكن قد توجد غريزة الحياة دون طاقة ، ولكنها تكون حياة ساكنة لا تحقق إمكانيات ، حياة عدمها خير من وجودها . وقد رأينا أن معرفتنا التامة للأسباب ستفقدنا « غريزة الحياة » الناشئة عن هذا اللاتحدد فى الانتقال المستقبلى ، ففناء وجودنا ، وانعدام حياتنا .. سيكون حين يكون وجودنا مجرد مرآة أو شريط

للكلام بقية

عبد الجليل السيد حسن

تعقيب :

الأدب وطلقات المدافع

للأستاذ على متولى صلاح

ربما كان من أحب التهم إلى نفس الأديب تهمة « شهوة الكلام » التى تفضل الصديق الكريم الأستاذ محمد عبد الغنى حسن فرمانى بها ! فإن امتلاء النفس بشهوة الكلام وجيشان المعانى فى صدر الإنسان واحتدام رغبته فى أن يكتب ويعبر . . . هى الدلالة الصادقة على أنه الأديب حقا ، فما بالك إذا كان ذلك منه للرغبة الخالصة فى الدفاع عن الكتابة والأدب ؟ وما بالك إذا كانت شهوته هذه لم تواته فى المواسم والأعياد وحفلات الوداع والاستقبال وما إلى ذلك ! وإنما واتته لدفع تهمة خطيرة عن الأدب وقيمته وأثره فى حياتنا الراهنة ؟ ويعلم الله ما أردت تجريح الصديق الكريم ولا الزراية به ، فله عندى حرمة الصديق القديم . ولكن هالنى أن يكيل الأستاذ التهم للأدب كأنه له العدو المبين ! هالنى أن يرى الأدب عملا « غير جدى » كما يقول ، وهالنى أن يحمد الأستاذ فى أمته « الأفعال لا الأقوال » كما يقول أيضا ، وهالنى أن يكون رأيه فى الأقوال هكذا :

هذه الأقوال لا تحمى شهيدا   من ضحايا الحق أو تشفى أواما
أطلقوا المدفع . . لا حنجرة   وارجموا للسيف فى الحق احتكاما

وهالنى أن ينادى — وهو الكاتب — فى الناس بهذه الأقوال :

لا تردوا عنكم غدر الأعادى   بالعبارات نثـــارا ونظاما
الكلام اليوم لا يحمى حقوقا   والبيان اليوم لا يرعى ذماما

وكانت الطامة الكبرى عندى أن يقول « . . فنحن اليوم إلى سلاح صوال ، أحوج منا إلى لسان قوال » !

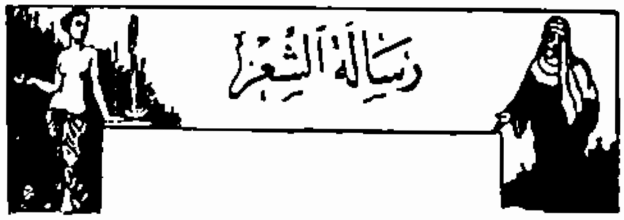
هالنى ذلك وخشيت أن يتأثر به بعض ذوى العقول الساذجة من الناس ، فلكتبى « شهوة الكلام » لأصحح هذا الوهم ولأدفع هذا الظن ، ولأبين للناس أن الأدب هو الذى يطلق المدافع ويسوق الجيوش ويحرك الجحافل ، وأن الأدب هو الذى يستنهض الهمم ويشحذ العزائم ، وأن الأدب هو الذى يحمى الحقوق ويرعى الذمام ويرد غدر الأعادى . . أردت هذا فانبرى الصديق الأستاذ محمد عبد الغنى حسن يعقب على كلامى بسلسلة متصلة من التهكم اللطيف لا تمس هذا الموضوع من قريب أو من بعيد !

ولكننى — برغم هذا — حمدت للأستاذ الصديق رجوعه إلى الحق واعترافه بأنه « لا ينكر خطر « الكلمة » وفعلها فى النفوس وأثرها فى العواطف » ولكننى رأيت الأستاذ يستشهد على خطر هذه « الكلمة » فيقول « أليست الكلمة هى من روح الله التى تجلت للجبل أمام موسى الكليم فجعلته دكا وخر موسى صعقا ؟ أليست الكلمة هى التى أوحت إلى النحل أن تسلك سبل ربها ذللا فتأكل من كل الثمرات ثم تلفظها شهدا شهيا فيه شفاء للناس ؟ » فلم أستطع — والحق يقال — أن أتبين علاقة هذين الأمرين بما نحن بصدده من بيان خطر الأدب والكتابة وأثرهما فى الحياة ! أما الأولى فهى أن موسى عليه السلام طلب أن يرى الله وقال (رب أرنى أنظر إليك. قال لن ترانى، ولكن أنظر إلى الجبل فإن استقر مكانه فسوف ترانى. فلما تجلى ربه للجبل جعله دكا وخر موسى صعقا) فلا أدب هنا ولا أدباء ولكن الله تعالى أراد أن يعلم موسى أنه طلب أمرا عظيما حين طلب رؤيته فدك الجبل به وعن طلب الرؤية لهم معه وخر موسى صعقا (فلما أفاق قال سبحانك تبت إليك وأنا أول المؤمنين) . وأما الثانية فهى هداية من الله للنحل وإلهام لها بقوله تعالى : (وأوحى ربك إلى النحل أن اتخذى من الجبال بيوتا ومن الشجر ومما يعرشون، ثم كلى من كل الثمرات فاسلكى سبل ربك ذللا يخرج من بطونها شراب مختلف ألوانه فيه شفاء للناس ، إن فى ذلك لآية لقوم يتفكرون) فلا أدب هنا ولا أدباء أيضا ، ولكنه وحى وإلهام من الله وآية على قدرته ، فما إقحام هذين الأمرين فى موضوع تأثير الأدب فى الحياة ومدى فعله فيها ؟

واستشهد الأستاذ على تفاهة قدر القلم بالبيت الشهير الذى يحفظه التلاميذ جميعا وهو :

السيف أصدق أنباء من الكتب   فى حده الحد بين الجد واللعب

ولا أدرى كيف غاب عن الأستاذ الصديق أن أبا تمام لم يكن



غضبة مصر

للأستاذ أنور العطار

« . . . إن غضب الشعب كغضب الطبيعة ، إن هاج لا يقدع ، وإذا وقع لا يدفع » :

« الزيات »

— الرسالة العدد ٩٦٢ —

حي العرب في مصر من روعه؟ ومن عاث فيـه ومن زعزعه
تمشي الشجون نهاراته وتمهد ليـلاته المفزعه
تضرج آفاقه بالدماء وبالهول والنكبة المفظعه
وبالقلق المر يغشى الحمى ويدهمه حسرة موجعه
ويبتعث الفتية الناهضين أولى البأس والغضبة المشرعه
تنادى الكرام على خطبه ولبوه بالمهج الطيعه
ورووا أباطحه بالدماء ونَدوا بمخضوبه أربعه
وكانوا الأضاحي يوم الفداء فكانوا العطاش على مشرعه
تهاووا على الموت في لهفة فر بهم سفـة مصرعه
فذاقوه أعـذب ما يشتهي فيالك من ميتة ممتعه
فياطيفهم أنت ملء الضلوع عزيز على القلب أن ينزعه
يعيش بذكراهم دائما فتسهر ذكراهم مضجعه
وتغمره بالأسى والحنين فإن شفه شفه أدمعه
كأنهم بسمات الربيع تجود بها روضة مونعه
كأنهم نفحات الخلود فلله عطرك ما أضوعه

* * *

حي العرب في مصر من روعه ومن عاث فيـه ومن زعزعه
ومن أنت يا خزى هذا الأنام ومن أنت يا ناشدا مصرعه

في هذا البيت يكتب موضوعا إنشائيا جيلا لطلاب المدارس (على حد تعبير الأستاذ الفاضل) يوازن فيه بين السيف والكتاب ، ولكنه كان يفند أقوال المنجمين الذين أشاروا على الخليفة «المتوكل» ألا يخرج للحرب في يوم من الأيام لتطيرهم منه وتوقعهم له الهزيمة والفشل في ذلك اليوم ، فلم يستجب الخليفة لتنجيمهم ومضى إلى الحرب فكان الفائز المنتصر ! فابتدره أبو تمام بقوله : « السيف أصدق أنباء من الكتب) أي من المنجمين ! ويعترف صديقنا بأن قصيدته لم تكن (كفرا بالأدب ولكنها في الحق كفر بالخطب وكفر بالمقالات والكتب) كما يقول ، ولا أدرى أيريد الأستاذ بذلك أن يقول إن الخطب والمقالات والكتب ليست من الأدب في شيء ؟ إن كان الأمر كذلك فتلك هي الآفة الكبرى التي أجل أدب الأستاذ وفهمه منها ! فإن الخطب والمقالات والكتب هي أشياء من صميم الأدب وبخاصة في مقام الاستحثاث والاستنهاض الذي نحن بصدده !

ولا أدرى يا صديق كيف وأنت تزعم قراءة عصور الأدب الفرنسي والإنجليزي جميعها إذ تقول (لقد قرأت من زمان طويل ما قاله (هازلت) فنازلا و (سارتر) فصاعدا . . ولعلك خبير بتسلسل هذه العصور في فرنسا وإنجلترا) لا أدرى يا صديق أي شيء يكون (صاعدا) بعد سارتر ؟ والذي أعلمه علم يقين أن ليس بعده شيء ! وأنه حي يرزق ! وأنه لا يزيد عمره على عمرك المبارك إلا قليلا ، وأن مذهبه — وأعني به الوجودية — هو آخر المذاهب الأدبية التي اعتورت الأدب من عصوره اليونانية القديمة إلى يومنا هذا ! وهو مذهب تتفتح بوا كيره ولم يعم انتشاره بعـد !

يا أخي : إن الأدب — رضيت أو لم ترض — هو الحركة الأولى لكل شيء في الحياة . وكل ثورة حربية إنما سبقتها ثورة أدبية مهدت لها وأدت إليها ، والكلام في هذا يطول والشواهد عليه لا تحصى ، فإما أن تقول كلاما في الموضوع وإما أن تتقبل تحيتي وسلامي !

على متولى صلاح

ومن أنت يا بدعة الظالمين   أما آن للحق أن يقمعه
أتنحو على الروض نضرا جناه   تقصف في حنق أفرعه
وتطوى مباهج سفر الوجود   وما ضم من صور ممتعه
وتقذف بالرعب في الآمنين   وتلتهم الطفل والمرضعه
تزلزل بالناس سكناهم   كأن ديارهم بلقعه
وتأبى على بلد صابر   عجيب لمكرك ما أفظعه
بوجه تلفع بالموبقات   تعف الخساسة أن تصفعه
وقلب تخلع من رعبه   تشبث بالكهف والصومعه
تسلح بالغدر يوم الصدام   فكان على الغدر أن يصرعه
فما ضره لو أماط اللثام   وخلى لأربابه برقعه
وعقل من الطيش مستنبط   قضى دهره كله إمعه
إذا أزمع الناس يوم الزماع   تلجلج مستأنيا مزمعه
وإن نهضوا للعلى والرشاد   مشى للخنا سالكا مهيعه
ولو كان أمعن في عقله   لكان من الخير أن يرقعه
أضاع الرشاد غداة الهياج   ولا يعرف الرشد من ضيعه
فيالك مدعيا باغيا   ولله بغيك ما أشنعه
ويالك من مورد آسن   يمج ضروب الأذى والضعه

* * *

بنى النيل هبوا بيوم الفخار   فلا خير في العيشة المضرعه
بناء من الظلم جدرانه   فلن نرجع الدهر أو نصدعه
ولا تهنوا في مجال الكفاح   ولا ترهبوا جاحم المعمعه
ألستم بنى العرب الأبى   ومن عاش للعتق مفزعه
ومن مر بالأرض مثل النهام   وطوقها رحمة ممرعه
إذا هجته هجت ليث الشرى   فهاجت على إثره مسبعه
وإن رمت تقبس من هديه   أراك السنا سابرا منبعه
إذا كتب القوم تاريخهم   فتاريخنا الخير والمنفعه
وتاريخنا حافل بالعلاء   وتاريخهم ملؤه الجعجعه
سأنشر ما عشت أمجادنا   وأبعث ماضينا أسطعه
بنينا على المجد هذا الوجود   وصغناه أنشودة مبدعه
فلا بد للحق أن يستفيض   ولا بد للباطل أن ندفعه

* * *

هو الرزء يجمع أشتاتنا   فأملوا بجمعكم مجمعه
تساق الأخلاء أمواهه   وطافوا بأكوابه المترعه
تلاقوا كما تتلاقى الدموع   وتشتبك الدوحة المفرعه
وصانوا العلى والإخاء القديم   وصانوا التراث ومستودعه
ومن عاق هذا الهوى والوئام   فإنا عليه ولسنا معه
ومن يزرع الريح في أرضنا   فلا بد أن يحصد الزوبعه

دمشق   أنور العطار

الضيف الخالد

للأستاذ محمود عماد

ما أنا منك ، لا ولا أنت منى   أيها النازل الحى فامض عنى
إن تكن ضيفنا فسبعون عاما   يلمن الضيف بعدها أى لعن !
أو تكن جئتنا لتحمى فردا   فهو والله مات من نصف قرن
وهو والله لم يحط عرشه الخو   ف لدن جئته تجود بأمن
هو عرش فى كل عهد عوط   من رضا شعبه بأمنع حصن
ولنهبا مروءة لك فاضت   فلقد جاوزت حدود التمنى !
وهى منا لما تفز بشكور   فلتفز منك يا جواد بضن
هى صنف من المروءات لا يا   ق لدى البذل غير حقد وضغن
هى صنف من المروءات يسدى   بأكف من كثرة السلب حجن
ووجوه صفيقة الجلد لو شد   ت نعالا لما اهترأها تفنى !

* * *

يا ذئابا فى صورة الناس تبدو   فن تمثيلكم لهم أى فن ؟
قد وصلتم بمخلب كل ظفر   وبناب وصلتمو كل سن
أى شر خشيتموه علينا   ومننتم بدفعه كل من ؟
أى خصم أقمتمو لتصدو   ه بضرب من أرضنا وبطعن ؟
أنتم الشر والخصوم جميعا   فدعونا نفز بأمن ويمن
إن محالفكم العداة فمن ذا   نتقيه من بين إنس وجن ؟
أين ما قد أذيع فى مجلس الأ   من ، أو الخوف ، من أمانى المنى ؟
أين ما قد زعمتمو من حقوق   قد سننتم قانونها خير سن ؟
أين حق الانسان أو أين حق الـ   شعب فى حطم كل قيد وسجن ؟

وهو إنساننا الذى صنع الله … وترعونه بحق التبنى ؟
أم تراه الذى صنعتم تماثيلا … لتقودوه دون عقل وذهن ؟

* * *

يا بنى النيل ، من تحدر من قحـ … ـطان فى أصله ومن فرعون
إننى فى عروقكم سامع صو … تين قد دويا بوحى دمين
أن هلموا ، فاليوم ـ أو مستحيل ـ … يرجع النيل عزة الصفقتين
لا تخافوا جنديهم فهو لا جنـ … ـدى ، بل أعطى اسمه حسن ظن
إنه مشجب لحمل سلاحٍ … فانزعوه يكن لكم شبه قن
اضربوه بسيفه إن تفضتم ، وإلا فى ضربه النعل تغنى
لم يكن راعيا ، فحرمت الرحـ … ـمة منكم عليه ، دينا بدين

محمود عماد

نسف قرية

للأستاذ عبد اللطيف النشار

ديار الآمنين نسفن نسفا … فبات على الثرى منا الألوف
وما اقترفوا ولا هموا بذنب … ولكن هكذا شاء الحليف
ليظهر بطشه ويخيف شعبا … يرى أن المنية لا تخيف
ألا يا أمة هرمت وشاخت … ثقيل عداوة وأذى طفيف
ستبلعكم مقابركم لدينا … وتفنينا عن الدور الكهوف
سلاحكمو ـ وإن غدا قريب ـ … بأيدينا فوزنكمو خفيف
وفى أجنادكم ما ليس يخفى … على أحد وإن كره العفيف
يبيع سلاحه منكم ظريف … بعيد عن مقاصدكم عزوف
لطيف الدل ذو صوت رخيم … ويجنى من محاسنه القطوف
ويعلكه الحياء ويتقينا … بكفيه إذا سقط النصيف
بكأس يشترى منه سلاح … ويخلب لبه القول اللطيف
عساكركم دمى صيغت بفن … وأولى أن تضيق بها الرفوف
وإن نسفوا منازلنا فقدما … تجنى عند فرصته الضعيف
لقد فقدت كرامتها جيوش … يبيع سلاحها منهم ألوف
وقد كرهوا الحروب فإن فيهم … شيوعيين دينهمو الرغيف
وقد فقدوا رجولتهم فمنهم … غريق فى ملذته مؤوف
جنودكمو الألى دللتموهم … رخيم أو بهير أو نزيف
تخذتم أكثر الدنيا عبيدا … فحارب دونكم جيش عنيف
وحررهم وغلبهم عليكم … زمان رأيه فيكم حصيف
تولى المترفون الأمر فيكم … دروعهمو الغلائل والشفوف
أرى متنعمين وهت قواهم … فظل العيش عندهمو وريف
وحق عليكمو ما حق قدما … على من سادهم أبواه جوف
نسفتم دورنا فلتذكروها … فهلا قلعة من عهد خوفو
بناء يبتنيه أهل مصر … يحطمه بعدقمه الحليف
فيالك ضحكة دوى صداها … يجاوبها من الجن الزفيف
ألا إن الألى شردتموهم … سيصلح أمرهم رب رؤوف
ستمسى فى أكفهمو حراب … وتصبح بين أيديهم سيوف
فيا للثأر يا ابن منا ورمسو … ولا يزعجك جمعهمو الكثيف
وما يكتال بالثارات آب … دم بدم ونحسو أو نسوف

عبد اللطيف النشار

تعقيبات

للأستاذ أنور المعداوى

محنة الأخلاق فى الجامعة

هذه الكلمات التى أنقلها هنا ، كما وردت بنصها فى رسالة من أحد « تلاميذ » الدكتور عبد الرحمن بدوى ، أود أن أقدمها مرة أخرى إلى معالى وزير المعارف ، وإلى مدير جامعة ابراهيم ، وإلى عميد كلية الآداب بتلك الجامعة .. أود أن أقدمها إلى هؤلاء الذين بيدهم الأمر ، ولهم سلطة الإشراف ، وعليهم فى النهاية تقع المسئولية !

قال التلميذ « الفاضل » وهو من ناشئة الجيل الذى أشرف على « تربيته » الأستاذ « الفاضل » : (قرأت تعقيبكم على فقرات من كتاب « الحور والنور » للدكتور عبد الرحمن بدوى ، فرأيت أن أرد على ما جاء به من اتهام مجحف بما يأتى :

(١) إن العلاقة الجنسية عملية « بيولوجية » لاستمرار الحياة .. فالتحدث عنها وعما يستلزمها من استمتاع بالأعطاف والأرداف ليس فيه مايخجل ! !

(٢) ماهى قيم الناس المقدسة ؟ إن هى إلا أضحوكة صاغها العرف ودعمها من يسميهم النـاس أنبياء . . فله الحق « يقصد الدكتور بدوى » فى رفضها أو قبولها ! !

(٣) إن عبد الرحمن بدوى لاينال بمثل هذه الكلمات من سمعة الجامعة العلمية أو الخلقية .. بل إن الجامعة لتفخر به » ! !

إلى هنا وتنتهى رسالة التلميذ « الفاضل » ، وهو كما قلت من ناشئة الجيل الذى يشرف على « تربيته » الأستاذ « الفاضل » .. إن هذه الرسالة هى الدليل المادى الذى لا يدفع ، على أن هـذا الأستاذ قد استطاع أن يطبع تلاميذه بطابعه ، وأن يخلق منهم « رجالا » يواجهون معركة الحيـاة الطويلة بسلاح الخلق .. الخلق الذى يطالعك مدنه « النفيس » من وراء تلك الكلمات !

هذا هو ما كنت أنتظره وأخشاه ، وهـذا هو ما دفعنى إلى إثارة المشكلة من قبل أمام المسئولين ، مشكلة التدهور الخلقى الذى يخشى منه على طلاب الجامعة . هذه التيارات الفكرية التى تعصف بالقيم وتحتقر المثل وتهزأ بالتقاليد ، من الذى نثر بذورها الآثمة ورعى ثمارها المجرمة فى رؤوس أصحاب الغد ، رؤوس هذا الجيل المرتقب من شباب الجامعة ؟ ترى هل يحتاج السؤال إلى جواب ؟ وإذا كان محتاجا فمن يجيب ؟ هل أجيب أنا أم يجيب مدير جامعة ابراهيم ، أم يجيب عميد كلية الآداب بتلك الجامعة ؟ !

إن مثل هذا الطالب الذى يدافع عن العلاقة الجنسية بأنها عملية بيولوجية ، ويؤكد أن الاستمتاع بالأعطاف والأرداف ليس فيه ما يخجل ، وأن القيم المقدسة إن هى إلا أضحوكة من صنع العرف أو من صنع من « يسميهم » الناس أنبياء . . مثل هذا الطالب ــ وهو نموذج مادى صارخ لغيره من الطلاب ــ لا ذنب له فى رأى الحق ولا لوم عليه ؛ لأن هنـاك « الأستاذ » الذى أقنعه بأن هذه هى القيم ، وبأن هذه هى المثل ، وبأن هذا هو الطريق .. هنـــاك الأستاذ الذى أقنعه بهذا كله فى قاعات الدرس وهو يحاضر ، وبين صفحات الكتب وهو يؤلف ، ولا بأس فى منطق « الدين الجديد » من أن تفخر الجـامعة بداعى الدعاة ! !

أرأيت كيف يفخر التلميذ « الفاضل » بكلمات أستاذه « الفاضل » ؟! لقد علمه فأحسن التعليم ، وأدبه فأحسن التأديب ، ووجهه فأحسن التوجيه ، وبلغ من ذلك كله الأوج وأشرف على الغاية .. إن هذا الطالب وأمثاله شهداء ؛ وإذا كان الشىء يذكرنا بنقيضه ، فإننى لأذكر فى هذا المجال شهداء آخرين ، وما أبعد الفارق فى حساب الشعور بين شهداء « الوطنية المحمومة » وشهداء « الأفكار المسمومة » .. إن « أبناء القتـال » مثلا يفخرون بحديث الجهـاد والبذل ، وبمعنى الفداء والتضحية ، ثم بشرف الانتحار بين يدى العدو اللدود ؛ أما « أبناء الجامعة » فيفخرون بحديث الأعطاف والأرداف ، وبمعنى المساواة بين الخالق والمخلوق ، ثم بشرف الانتحار بين النهود .. أليست هذه الألفاظ هى ألفاظ « أستاذ الجيل » كما ازدان بها كتاب « الحور والنور » ؟!

حديث وحديث ، ومعنى ومعنى ، وشرف وشرف ، وهى فى جوهرها دروس ودروس .. دروس فى « الاستقلال » يتلقاها فريق من شباب مصر ، ودروس فى « الانحلال » يتلقاها فريق آخر من هؤلاء الشباب ، وابحث عن الدوافع النفسية لهذه الظواهر الخلقية ، ابحث عنها فى تعاليم « القادة » الوجهين هنا وهناك !!

لقد بقى شىء كنت أود أن أذكره ، وهو اسم هذا الطالب الجامعى لعله يخجل .. كنت والله أود أن أفعل ولكنى تذكرت تذكرت أن أستاذه « الفاضل » قد علمه وعلم أمثاله أن الهبوط والسقوط ، ليس فيهما ما يبعث على الخجل أوما يدعو إلى الحياء!!

ذكرى شاعرة سورية :

هل تذكرون تلك الفتاة الأنيقة الرشيقة .. « الآنسة » هجران شوق ؟ وهل تذكرون ذلك اليوم الذى رفعت فيه القناع عن الوجه المزيف والحديث الكاذب والشعور المصنوع ؟! لقد استطاع ذلك الشاعر السورى « المعروف » أن يلقاني بوجه امرأة ، وأن يتحدث إلى بصوت امرأة ، ولكنه نسى شيئا واحدا لم يفطن اليه .. وهو أن يتزود بدهاء النساء ، نسى مع الأسف الشديد هذا السلاح الخالد من أسلحة حواء .. ومن هنا انكشف أمره وانتهت المعركة !

أقسم أننى كنت أعرفه ، أعنى « الأستاذ » هجران .. وأننى ذكرت اسمه لكثير من أهل الأدب حين سئلت عنه ، بعد تلك الكلمة التى وجهتها اليه على صفحات « الرسالة » ورجوته فيها أن يفصح عن اسمه وإلا أفصحت عنه ! .. رجوته فخيب الرجاء ولج فى الهجر ، وأمعن فى الدلال ، شأن ربات الحجال ! ومن هنا خاننى الصبر فبحت باسم الأستاذ الشاعر فى مجالس الأدب فصدق أناس وتردد فى التصديق آخرون .. ترددوا على الرغم من الأدلة المادية المقنعة التى تقوم على المقارنة بين شعره وشعر « الآنسة » ، وبين النماذج الخطية لكتابتها وكتابته وهى موجودة بدار « الرسالة » ؛ فضلا عن السبب الاصيل الذى من أجله بدل من قسمات الوجه وغير من نبرات الصوت .. وهو دفاعه الصادق الخالص عن شاعر يهمه فى مسابقة شعرية أقامتها مجلة « العصبة » المهجرية !!

تلك الفئة المترددة فى التصديق كانت قليلة على كل حال ، وعذرها فى ذلك مقبول حين نضع نصب أعيننا هذه الحقيقة ، وهى أن الشاعر الذى وضع على وجهه نقاب امرأة شاعر معروف تعرفه صفحات « الرسالة » منذ خمسة عشر عاما على وجه التقريب وتبعا لهذا « الشرف » يعرفه القراء فى مصر والبلاد العربية .. ومن هنا عز على بعض المقول أن تصدق تلك « الفعلة » التى لايقدم عليها غير الأدباء الناشئين أو غير الصبية المراهقين !!

وأترك تلك الفئة المترددة وأخاطب القراء ، مقدما إلى أذواقهم هذه الابيات التى أقتطفها من قصيدة ألقاها الشاعر الذى أعنيه ، فى حفلة تكريم أقيمت للشاعر المهجرى جورج صيدح بدمشق ، ونشرتها مجلة « الأديب » اللبنانية فى عدد ديسمبر عام ١٩٥١ .. قال الأستاذ الشاعر وهو يتحدث عن نكبة فلسطين بصوت « رجال » محييا الشاعر المهجرى الذى نذرلها ديوانه « النوافل » هبة شعر وشعور ، قال حفظ له الله وجهه الحقيق بغير نقاب :

عليك سلام العرب يندى مواجما ويشرب دمع العين غربا إلى غرب
ولم زحت لاتلوين إلا على النوى أمن أمل رحب إلى أمل نهب ؟
ديار الهوى لازلت مخضرة اللى ترف على مغناك فينانة العشب !
خيالك فى عينى وذكرك فى فمى وبى منك مايغرى الحب وما يصبى
وما غبت عن طرفى وإن بعد المدى ولكننا فى الحب جنبا إلى جنب
وما ذكرتك النفس إلا تولهت وهيمها برح فباتت بلا لب !

يهيج جواها الشوق والشوق عاصف
كأن على أنفاسه زفرة النحب !

دهتك من الدنيا كوارث جمة
وألقت بك الويلات فى مسلك صعب

فقد ينجلى الليل الطويل عن السنا
وتزدهر الأعواد فى الهمه الجدب !

إذا دهمته الداهمات تلجلجت به النفس وانهارت تقول له حسبى

وطوف وباع الخلد تطواف عاشق
حسير الأمانى وابلك بالدمع السكب

إليك أؤدى بعض ما تستحقه رفيفا من التحنان والنغم العذب

وأنت جدير بالدرارى فليعقى
أصوغ بيانى من سنا الأنجم الشهب !

هـذه هي الأبيات ، ومعذرة لضياع الوحدة النفسية فيها وكذلك الوحدة الفنية ، لأن هنـاك بيتا مقتطعا من هنا وبيتا مقتطعا من هناك، تبعا لحرصي على جمع « الإكليشيهات اللفظية » التي سأترك لك المقارنة بينها وبين « إكليشيهات أخرى » مماثلة ، هناك في قصيدة قديمة وجهتها « الآنسة » هجران شوقي إلى الشاعر عزيز أباظة ، في العدد (٩٠١) من الرسالة .. وهو العدد الصادر في ٩ أكتوبر عام ١٩٥٠ ! قالت « الآنسة » الشاعرة التي نسيت أنني أقرأ مجلة « الأديب » وما زلت أذكر شعرها الحبيب :

وأنت سماوي القصيد قبسته
من اللاعج المشبوب والمدمع السكب
ولما نزل سؤل النفوس وقصدها
وشغل الليالي الزهر والأنجم الشهب

فيالك من شعر رقيق منغم ... يرف رفيف الطل في ناضر العشب
ترقرق بالشكوى وضمخ بالأسى ... فجاد بما يغري وجاش بما يصبي
وأشربته نجوى تذوب رهافة ... وتخضل بالتذكار والأمل النهب
تخلده الأحقاب في الطير شاديا ... فإما شدا بات الحب بلالب

وفي النائب النائي الذي لفه الردى
ففاض حنانا وهو في زفرة النحب

غريب حريب لا يقر قراره ... إلى أن ثوى في الخلد جنبا إلى جنب
فما الشعر إلا ابن المدامع والأسى ... تجود به الأجفان قربا إلى قرب
إذا خاطب الأرواح رفت بشاشة ... ولو أنها في وحشة المهمه الجدب
يظل حداء الركب ترمي به النوى ... فينسيه ما يلقاه من مسلك صعب
نشاوى وما ملوا غناء ولا سرى ... ولا تعبوا أو قال قائلهم حسبي !
فيالك صداحا ويالك شاعرا ... تفرد بالتحنان والنغم العذب

أرأيت إلى هذه « الإكليشيهات اللفظية » المكررة في هذه القصيدة وفي القصيدة السابقة ؟! .. إنها « إكليشيهات » تطالعك كثيرا في شعر هـذا الشاعر ، وهي من « لوازم » التعبير التي تكشف لك عن شخصية الأديب أو الشاعر ولو حجبت تلك الشخصية وراء الأستار ! .. « المدمع السكب » ، والدمع الذي تجود به الأجفان « قربا إلى قرب » ، و « الأنجم الشهب » ، و « المسلك الصعب » ، و « والمهمه الجدب » ، و « زفرة النحب » ، و « بات بلا لب » ، و « الأمل النهب » ، وفي الحب أو في الخلد « جنبا إلى جنب » ، وتلك أو التي « يقول له حسبي » ، وذلك « التحنان والنغم العذب » .. إلى آخر تلك « الإكليشيهات » المحفوظة على طريقة تلاميذ المدارس ، والتي يمكنك أن تجد الكثير منها بلحمه ودمه في قصيدة أخرى نشرت « للآنسة » هجران على صفحات الرسالة ، وهي القصيدة التي رثت بها « أختها » الشاعرة المصرية الراحلة ، الآنسة ناهد طه رحمها الله !!

عيب الأستاذ الشاعر أنه ضعيف الذاكرة ، ولو لم يكن ضعيف الذاكرة لما نسي أن وظيفتي الفنية هي النقد، وأن النقد من عادته أن يرفع الستر عن الأشياء الدفينة .. لقد سطا الأستاذ في جرأة بالغة على شعر الآنسة هجران ، ولم يتحرج من أن يحيي الشاعر جورج صيدح بهذا الشعر المسروق !

ليصدقني القراء أنني لم أكن أنتظر أن يسطو هـذا الشاعر المعروف على شعر هذه الشاعرة الناشئة .. قد يدافع هو عن نفسه فيقول لنا بصوته الطبيعي الذي لا تشوبه رقة الغانيات : هـذا اتهام جائر لأن الشعر شعري هنا وهناك ، سواء نظمته من وراء الأستار أم نظمته في وضح النهار .. عندئذ لا يسعنا إلا أن نعتذر للأستاذ أنور شوقي أو للآنسة هجران العطار ! !

حول أسئلة القراء :

يؤسفني جد الأسف أن تشغلني محنة الأخلاق في الجامعة وذكرى الشاعرة السورية ، عن التفرغ للأسئلة التي تلقيتها من بعض القراء وأشرت إليها في العدد الأسبق من « الرسالة » .. ولقد تلقيت فيضا آخر من الرسائل في الأيام الأخيرة ، وأرجو ألا تشغلني عن التعقيب محن أخرى وذكريات !

بقي أن أوجه أنظار القراء إلى هذه الحقيقة ، وهي أن وقتي لا يتسع لكتابة الرسائل الخاصة حول المشكلات الخاصة ؛ المشكلات النفسية التي تعتلج بها نفوس الشباب في هـذا الجيل. إنني أقدر هـذه المشكلات كل التقدير وأعطف على أصحابها كل العطف ، ولكني أعتذر لهم بضيق الوقت وبشيء آخر ، وهو أن كثيرا من المشكلات لا يمكن علاجه بكلمة أو كلمات !

أنور المعداوي



مسرحية ...

دنشواى الحمراء ...

للأستاذ أنور فتح الله

تأليف : الأستاذ خليل الرحيمى
إخراج : الأستاذ زكى طليمات
تمثيل : فرقة المسرح الحديث

.. دنشواى .. قرية صغيرة من قرى الريف المصرى ، كانت تعيش هادئة آمنة إلى أن شاء القدر أن تبرز هذه القرية فى صفحات التاريخ . فتهز مأساتها الضمير الإنسانى ، وتلطخ بالعار تاريخ الإمبراطورية العجوز .. ومنذ سنة ١٩٠٦ ، أصبح اسم دنشواى يقترن بأبشع صور الظلم الإنسانى ..

ولقد أراد المؤلف خدمة القضية الوطنية بتصوير الحاضر وإثارة الشعور ببعث الماضى الذى مثل فيه الإنجليز بنا أشنع تمثيل ، فاتخذ من حادث دنشواى صورة الماضى . . . ورمزا للحاضر . .

ولما كانت هذه المسرحية ، هى المسرحية الأولى التى يساهم المسرح المصرى بها فى خدمة القضية الوطنية مساهمة مباشرة . . فقد رأينا أن نتجه فى نقدنا لها اتجاها « تحليليا » ، متتبعين خطوطها الفنيه ، ومسجلين الأثر الذى تركته فى نفوسنا ؛ لنعطى للقارىء صورة صادقة لها

. . تبدأ أحداث المسرحية فى الاسماعيلية ، حيث نرى أسرة مكونة من أب ، وأم ، وابن ، وخطيبته

.. أما الابن « عادل » فإنه يساهم فى خدمة وطنه بالاشتراك فى كتائب التحرير التى أعلنت حرب العصابات على المستعمر . . ولقد علمت الأم « رزقة » بما اعتزمه ولدها ، فحاولت منعه لتدرأ عنه الخطر المحدق به ، ولكنه يصر على الثأر للوطن من الغاصب المستبد . فتستعين بالأب « عبد الرازق » ، وإذا به يأذن لولده بالخروج ليؤدى واجبه ، فتصرخ الأم باكية ، فيذكرها عاشها فى دنشواى . .

وفى دنشواى ، نرى حادث قتل أم محمد ، شقيقة عبد الرازق برصاصة أحد جنود الجيش البريطانى ، ونرى مستر متشل المستشار الإنجليزى لوزارة العدل يجرى التحقيق فى منزل العمدة ، وقد اتهم فى الحادث حسن محفوظ والد رزقة ، وعبد الرازق خطيبها . . وينفذ حكم الإعدام فى حسن محفوظ وزميليه .. ويفر عبد الرازق ورزقة إلى الاسماعيلية . .

وتنتهى حوادث المسرحية فى الاسماعيلية ، حيث ينقذ عبد الرازق ولده عادل وخطيبته سلوى ورزقة ، ويقف وحده ليواجه جنود الجيش البريطانى الذين جاءوا للقبض على ولده ، وينسف المنزل على نفسه وعلى أعدائه . .

.. ومن هذا العرض السريع للمسرحية ، يتضح لنا أن المسرحية تصور الحاضر ، والماضى . ولقد ربط المؤلف بين الماضى والحاضر بشخصيتى الأب والأم . ولجأ إلى الرمز فى تصويره للحاضر ، فاختار أحداثه من المخيلة ليرمز للواقع واتجه فى تصويره للحقائق التاريخية إلى التركيز ، فأخذ قمم الأحداث واستعان بالخيال فى تصوير الدوافع النفسية التى تحرك أشخاص التاريخ ، وبهذا بعث فيهم الحياة ، وأبرز الماضى فى صورة تثير الفكر والعاطفة

.. والجو العام لهذه المسرحية مزيج من الدراما والكوميديا .. الدراما التى تمثل مآسى الظلم .. والكوميديا التى تصور السخرية الثائرة على الأوضاع المقلوبة فى الحياة . . ولقد بدت مشاهد الكوميديا موزعة فى المسرحية لتمهد لضربات المأساة . وكانت شخصية الأسطى عطيه تمثل الخط الكوميدى فى الجزء الذى يصور الحاضر ، وشخصية الشيخ محمد تصور امتداد هذا الخط فى الجزء الذى يصور الماضى . ولقد كان الضحك فى هذا الخط نتيجة للمفارقات الطبيعية المتصلة بالأحداث ، كوقف الشيخ محمد عند التحامه بمستر متشل ، ومحاولته تضليل ضابط البوليس حتى لا يقبض على عبد الرازق

والزمن فى المسرحية يبدأ بالحاضر ، ثم يعود إلى الماضى ، ثم يرجع إلى الحاضر . وهذه الحركة تسمى فى السينما flash back

وهي نادرة الحدوث في المسرح . ولقد استخدمها المؤلف في هذه المسرحية لتحقيق غرضين .. الأول رمزي .. فهو يرد شعورنا بكراهية الانجليز اليوم إلى الألم الكامن في اللاشعور المصري نتيجة لكبت الظلم في الماضي .. أما الغرض الثاني فهو فن .. قصد به التخلص من التسلسل التاريخي الذي يجنح بالمسرحية إلى العرض .. وأريد به المقابلة بين أحداث الحاضر وأحداث الماضي ، وهذه المقابلة تزيد من قوة الحادث المسرحي .. ومن ناحية أخرى فإن هذه الرجعية الزمنية تساير حركة الفكر عندما يعود إلى تذكر الماضي

. والحادث المسرحي يصور حياة أسرة مصرية في الماضي والحاضر ، وحياة هذه الأسرة تمثل حياة مصر في الماضي وفي الحاضر .. والصراع بين هذه الأسرة وبين البريطانيين نتيجة لما حل بها من ألم وظلم يمثل الصراع بين مصر وبينهم .. والرابطة بين ماضي الأسرة في المسرحية وحاضرها هي رابطة الدم التي تصل عبد الرازق بولده .. وهي تمثل نفس الرابطة التي تصل أبناء اليوم بآباء الأمس الذين حل بهم الظلم في دنشواي وغيرها من من مآسي الاستعمار .. وبهذا قابل المؤلف بين حياة تلك الأسرة الصغيرة التي ظهرت على المسرح .. وحياة الأسرة الكبرى التي يرمز إليها .. واستطاع بهذا أن ينقل التجربة التي تلقاها من الحياة ويطبقها في عمله الفني

ومن حيث تصوير الأشخاص .. اتجه المؤلف في تصويرهم اتجاها رمزيا .. فعبد الرازق يرمز للماضي المستمر في الحاضر .. وعادل يرمز للحاضر المستمر في المستقبل .. والشيخ محمد والأسطى عطية يرمزان لروح الشعب المصري في الماضي والحاضر ، وسلوى تمثل الفتاة المصرية التي تساهم بنصيبها في الجهاد .. ومستر مقشل يمثل روح الاستعمار البريطاني . وسنتناول بالتحليل شخصيتين: الأولى خلقها المؤلف من الخيلة .. والثانية استمد اسمها ودورها من التاريخ ، أما بقية الصور فمن خلقه ..

.. فقد أبرز الشيخ محمد مؤمنا بالله ، صادقا بفطرته ، طيب القلب ساخطا على الظالم ، يعبر عن سخطه المكبوت بسخريته اللاذعة ، وإذا جرح شعوره الديني فإنه يثور ثورة طائشة ولا يبالي بالحياة .. ولقد حرص المؤلف على أن يجعل الأحداث التي يشترك فيها تبرز هذه الخطوط ، في نطاق الواقع النفسي والفكري للشخصية المصرية

ولقد أبرز المستر مقشل متظاهرا بالعدل وهو ظالم ، يتهم بالقتل وهو قاتل ، ويغضب من الحق ، ويؤمن بالباطل ، وبهذه الخطوط لخص المؤلف روح الاستعمار في شخصية مقشل ، وعبر بأفعالها وأقوالها عن المنطق الاستعماري أبلغ تعبير .. ولقد سار المؤلف على ذلك في رسم الشخوص الأخرى .. كالعمدة ؛ وجندي البوليس ، وشيخ البلد ، وشيخ الخفر . أما شخصية عبد الرازق وعادل فإنهما ترمزان لجيلين؛ ولهذا كان المؤلف ملتزما في تصويره لها . ولقد قيد هذا الالتزام حريته في التصوير فغلبت عليهما النموذجية ، وذلك حتى لا تبعد الصورة عن الرمز . وكان الجانب الإنساني بارزا في تصوير الأم لتأرجحها بين العاطفة والواجب .. والطابع العام في رسم الأشخاص هو الصدق في التصوير والتعبير ، والتفكير

... والبناء في مثل هذه المسرحية « الملتزمة » يعد من أصعب الأمور على المؤلف المسرحي ، لأنه عامل أساسي في التأثير على المشاهد ، ونقل التجربة النفسية إليه . وإذا اهتز البناء في يد المؤلف ، فالمسرحية إما أن تصبح عرضا مسرحيا ، أو تميل إلى الخطب المنبرية . وسنحاول هنا أن نتعرض بناء المسرحية لنرى إلى أي حد وفق المؤلف فيه ..

.. فالمنظر الأول يمثل حياة الأسرة في الإسماعيلية .. ولقد بدأه المؤلف بداية مثيرة ليغمر المشاهد في الجو العام للمسرحية .. فأبرز عادل وأعوانه يتآمرون في الظلام على جنود الاستعمار .. واستخدم التعارض بين موقف الأم والأب بالنسبة لابنهما في جذب انتباه المشاهد ، وتسليط الأضواء على السر الذي يطويه عبد الرازق .. وفي نهاية المنظر جعل عبد الرازق يفصح عن السر في تشجيعه لابنه على محاربة الإنجليز .. فبدأ انتباه المشاهد يتجه إلى التفكير في العلاقة التي بين عبد الرازق وبين دنشواي .. وأصبح مشوقا إلى معرفتها ..

وفي المنظر الثاني يتغير الجو .. والزمن .. والأحداث .. ويرى المشاهد أشخاصا غير الأشخاص الذين رآهم في المنظر الأول .. وقرب منتصف المنظر يبدو عبد الرازق في ثوبه الريفي ..

فيسترعى النظر لاختلاف حالته فى الاسماعيلية عن حالته فى دنشواى . ويصور المؤلف بدء العلاقة بين عبد الرازق وزرقة .. وقرب ارتباطهما بالزواج .. ثم يمهد المؤلف للمأساة حتى لا يفاجئ بهـا الجمهور .. فيذكر على لسان أحد الأشخاص أن فرقة انجليزية عسكرت بالقرية .. ثم يأتى جندى البوليس فيخبرنا بأن الجنود يصطادون الحمام .. ثم يشب الحريق فى أحد الأجران .. ثم يضرب المؤلف ضربته الأخيرة فيمرض أحد الجنود وهو يصطاد الحمام فيخطئ الهدف ويصيب أم محمـد . وفى هذا المنظر كان المؤلف موفقا فى مسرحة الحادث التاريخى ، لجاء مشوقا كامل البناء ..

.. أما منظر التحقيق الذى أجراه المفتش الإنجليزى فيصور فيه الصراع فى المأساة بين أهل القرية وممثل الاستعمار .. ولقد اعتمد المؤلف فى تجسيم هـذا الصراع على تصوير التعارض بين الصورة الحقيقية للحادث التى رآها المشاهد فى المنظر السابق ، وبين الصورة الباطلة التى يصورها ممثـل الاستعمار .. وتصل المأساة إلى الأوج عندما نعلم أن المشانق قد أعدت قبل المحاكمة .. وفى هـذا المنظر يبرز المؤلف العلاقة بين عبـد الرازق والزوجة وبين الحادث .. فالأول أحد المتهمين الذين فروا .. والثانية ابنة أحد المتهمين الذين أعدموا .. ومن هذه الزاوية ربط المؤلف بين الحاضر والماضر والماضى ، برباط طبيعى ...

... وفى المنظر الخامس .. يجسم المؤلف أثر المأساة فى نفوس أبطال المسرحية .. فعبد الرازق يختفى عن أعين الاستعمار .. وزرقة تبكى أباها الذى أعدم .. ويستغل المؤلف مطاردة البوليس لعبد الرازق فى تحريك قلب المشاهد ، وينتهى هذا المنظر بنجاة عبد الرازق بعد أن قلب الضابط وطنيته على واجبه . وهذا المنظر يكاد يتكامل فى بنائه لولا أن المؤلف أدخل عبد الرازق من أول المنظر ، وبهذا قضى على التشويق فى المشهد الذى جاء فيـه شيخ الخفر ليخبر الأسرة بأنه علم أنه قد قبض على عبـد الرازق .. وكنا نفضل ألا يدخل عبد الرازق إلا بعد خروج شيخ الخفر .. لينتقل الشعور بالقلق الذى أحس به أشخاص الرواية إلى المشاهد ..

... والمنظر السادس يصور الجانب الانسانى فى حياة عادل والجانب الوطنى فى حياة فتـاة اليوم التى تمثلهـا سلوى .. وجو هـذا المنظر خفيف بالنسبة لجو المأساة المكفهر فى دنشواى .. وهو تمهيد للمأساة التى ستنتهى بها المسرحية .. وقد اتخذ المؤلف من زيارة عادل لخطيبته ، والطلق النارى الذى سمع بعد خروجه مادته لتحريك المشاهـد وجذب انتباهه ... إلا أننـا نرى فى اخبار عطية لسلوى بزيارة عادل قضاء على عنصر التشويق فى هذه الزيارة ، وكان من الخير أن يدخل عادل دون هـذا التمهيد .. كذلك نلاحظ التـكرار فى سرد قصة نجاة عادل .. فقد ذكرها والد سلوى .. وذكرها عبد الرازق وكان الأفضل أن يذكرها عبد الرازق فقط .. وكان تتبع عبد الرازق لابنه غامضاً .. فقد قال عبد الرازق فى ذلك .. أنه يرى بقلبـه .. ويسير وراء ابنه خطوة خطوة .. وكان من السهل على المؤلف تبرير ذلك بأن يذكر عبد الرازق أن عطية أخبره بزيارة ولده لسلوى .. وبهذا يستقيم بناء هذا المنظر .

... والمنظر الأخير فى المسرحية يصور قصة اختفـاء عادل أثناء هجومه على المعسكر البريطانى . ولقد لعب المؤلف فيه بقلب المشاهد وجعله حائراً بين الأمل فى عودة عادل ، واليأس من هذه العودة ، وكنا نفضل أن تنتهى المسرحية بعودة عادل .. وذلك لأن نسف عبد الرازق للمنزل على نفسه وعلى أعدائه كان سريعاً وبعيداً عن الطبيعة .. فكان فى مقدوره أن يشعل فتيل الديناميت ويفر مع الذين فروا وبهذا يثأر لنفسه ، وينتصر على أعدائه .

... ومن هذا العرض يمكننا أن نخرج بنتيجة عامة .. هى أن المسرحية تكاد تـكون كاملة من حيث البناء لولا بعض الهنات التى بيناها فى مواضعها .. وبهذا وفق المؤلف فى التأثير على المشاهد بهذه الصورة الحية الصادقة التى تمثل حياتنا العامة بمـا فيها من آلام وآمال .

ولقد كان المؤلف موفقاً فى تصوير الأجواء المختلفة المسرحية؛ فهو فى الاسماعيلية يصور ذلك الجو الرهيب الذى يعيش فيه أهلها .. وفى الريف يجسم فى صدق النفسية الريفية بما فطرت عليه من بساطة وبراءة وطهر ..

أما حوار هذه المسرحية فواقعى ، يساير فى واقعيته البيئات المختلفة للاشخاص .. وكان الحوار مساوقاً للحركة المسرحية ، وبهذا خلت هـذه المسرحية من النغمة الخطابية التى تغلب على المسرحيات التى تعالج موضوعاً قومياً .

وبعد .. فهذه مسرحية جريئة فى موضوعها وبنائها ، حاولنا أن نبرز للقارىء خطوطها الفنية .. ومؤثراتها النفسية ، ونرجو

البريد الأدبي

الرغب تجمع على رغاب

في العدد ٩٣٧ نشرت مجلة الرسالة الزاهرة قصيدة الاستاذ محمود فتحي المحروق بعنوان « في لجة الصمت » وفي العدد ٩٤٤ تصدى الاستاذ الشاعر عبد القادر رشيد الناصري إلى كلمة « الرغاب » في القصيدة الآنفة الذكر من البيت التالي :

ليس لي في الحياة أي « آمال »
« فراخيية » المنى والرغاب

قال الأستاذ الناصري : في هـذا البيت خطأ في الوزن . « والخطأ موجود بالفعل » وفي فقه اللغة وأقصد كلمة رغاب. فقد أوردها الشاعر مرادفة لكلمة منى ، وهي جمع وهـذا الجمع خطأ محض .

واستشهد الأستاذ الناصري « بلسان العرب » الذي جاء فيه أن رغبة بمعنى الأمنية والمطلوب ، وجمعها رغائب ورغبات .

وقد صدق اللسان عند ما جمع رغبة على رغبات أما رغائب ومعنـاها العطايا والأموال فهي جمع رغيبة ومعناها العطية من أموال وغيرها .

قال عروة بن الورد العبسي وهو شاعر جاهلي وحجة أيضاً :

ومن يك مثلي ذا عيال ومقتراً ... من المال يطرح نفسه كل مطرح
ليبلغ عذراً أو يصيب رغيبة ... ومبلغ نفس عذرها مثل منجح

أما الأمثلة عن الرغائب التي هي جمع رغيبة فأ كثر من أن تحصى :

قال المتنبي :

فتى علمتـه نفسه وجدوده ... قراع العوالي وابتذال الرغائب

أي ابتذال الأموال والعطايا

وقال الأرجاني :

فأجزل قراه من سرور وبهجة ... وأثقل قراه باللهى والرغائب

أي وبالعطايا . قرى الأولى بكسر القاف (الضيافة) وقرا الثانية بفتح القاف « الظهر » .

أن نكون قد وفينا مؤلف هذا العمل الضخم حقه ، ليتابع خطواته الفنية الناجحة . ولقد أخرج هذه المسرحية الأستاذ زكي طليمات ولقد حقق بالمناظر الاطار المادي المسرحية في بيئاتها المختلفة .. مستخدما في ذلك الرمزية في بعض المناظر .. والواقعية المجسمة في البعض الآخر .. ويجدر بنا أن نسجل للمخرج بروزه في منظر الجرن .. حيث بدت المنازل الريفية في بساطتها .. والأفق من ورائهـا .. وكذلك منظر المشنقة .. الذي يمثل طغيان الظـالم وتجبره بهذه المشنقة الضخمة .. ولقد استغل الأضواء في إحياء الأجواء النفسية .. وحرك المجموعات في مشهد المؤامرة ، ومشهد الجرن ، والمحاكمة في براعة فبدت حركاتها طبيعية .

ولقد برز في مشاهد الريف من الممثلين عبد الرحيم الزرقاني في دور العمدة ، ومحمد السبع في دور حسن محفوظ ، فقد استطاعا تجسيم الثورة على الظالم من العبارة المحدودة التي أملاها الموقف المسرحي . أما عبد الغني محمد قمر ممثل دور الشيخ محمد فقيه القرية فقد بلغ حد الاجادة في أداء دوره لولا حرصه على جذب المشاهد اليه ولو كان ذلك على حساب الجو العام للمشهد المسرحي

ولقد أجاد عدلي كاسب الذي قام بدور المستر متشل فقد أدى إتقانه لدوره إثارة سخط الجماهير عليه لأنه يمثل السلطة الغاشمة .

أما مشاهد الاسماعيلية فقد برز من ممثليها حمدي غيث الذي قام بدور عبد الرازق ، فقد جسم بثورته النفسيه المتأججة الثورة العارمة على الظلم ، وجاوبته في هذا النجاح والتوفيق السيدة نعيمة وصفي التي قامت بدور الأم . ولعلها وصلت إلى القمة في مشهد اختفاء عبد الرازق في دنشواي .

أما ممثل الدور الأول في المسرحية ، نبيل الألفي ، الذي قام بدور عادل ، فمع أن عمله الدراماتيكي كما حدده المؤلف كان خارج المسرح ، إلا أنه ركز مقـدرته الفنية وموهبته في المشاهد التي ظهر فيها على المسرح فكان فيها موفقا خير التوفيق

وأخـيراً . . . فنحن نرى أنه قد تجلت في هـذه المسرحية وحدة المدرسة الفنية .. فقد تعاون أبناء المدرسة الحديثة وعلى رأسهم الأستاذ زكي طليمات على تحقيق التكامل الفني في المسرحية

أنور فتح الله

وقال فى قصيدة أخرى :

إذا ما أتاه الراغبون أمادهم ... وملء أكف الراغبين الرغائب

وقال أبو فراس الحمدانى :

وما أنا من كل المطاعم طاعم ... ولا أنا من كل المشارب شارب
ولا السيد القمقام عندى بسيد ... إذا استنزلته عن علاه الرغائب

أعود إلى فعل رغب يرغب رغبا بفتح الغين وسكونها والجمع رغائب.

من أخبار «زيد الخيل» بكتاب الأغانى لأبى الفرج الأصبهانى أنه جمع طيئاً وأخلاطاً لهم وغزا بنى عامر وحلفاءهم . وفى هذه الغزوة أسر زيد الخيل الحطيئة الشاعر فجز ناصيته وأطلقه ثم أن . غنيا تجمعت مع بنى عامر وغزت طيئاً فى أرضهم فغنموا وقتلوا وأدركوا ثأرهم .

فأشاد بذلك الشاعر « طفيل الغنوى » منتصراً لقومه على طيء مجيباً لزيد الخيل الذى كان ثلبهم من قبل بانتصاره عليهم قائلا :

سمونا بالجياد إلى أعاد ... مغاورة بجد واعتصاب
نؤمهم على رعب وشحط ... بقود يطلعن من النقاب
وقتلنا سراتهم جهاراً ... وجئنا بالسبايا والنهاب
سبايا طيء : أبرزن قسراً ... وأبدلن القصور من الشعاب
سبايا طيء : من كل حى ... بعن فى الفرع منها والنصاب

ثم قال :

وما كانت بناتهم سبياً ... ولا رغباً يعد من الرغاب

جاء فى كتاب الحماسة لأبى تمام عن طفيل الشاعر أنه ابن عوف ينتهى نسبه إلى « غنى » بن أعصر بن سعد بن قيس بن عيلان وهو شاعر جاهلى من الفحول المعدودين يقال أنه أقدم شعراء قيس وهو والنابغة الجعدى وأبو دؤاد الأيادى من أوصف العرب للخيل .

والرغبة بالتاء لتأنيث المصدر وجمعها رغبات مثل سجدة وسجدات ورجل رغيب على وزن شريف وكريم أى ذو رغبة فى كثرة الأكل (ذو نهم) وشاهد ذلك كما جاء فى العدد ٩٤٤ من الرسالة من كلمة للأستاذ الكبير الزيات بك عن الملك عبد الله قال فيها: وظل فيها (أى الملك عبد الله) كما يظل الأسد فى القفص متململا من الحصر ، متبرماً بالضيق ، يتطلع من خلال القضبان إلى سواحل فلسطين ، ثم تمتد عينه الرغيبة إلى سهول سوريا ، ثم يشرق بفكره وقلبه إلى أرياف العراق ..

وشاهدى عينه الرغيبة ، أى النهمة .

وإذا أريد المبالغة من كلمة رغيب كسر وثقل فيقال رغب .

هذا ويضاف إلى ما تفضل به الأستاذ الناصرى من أن كلمة رغيب معناها واسع ورحيب وأرجو أن تؤخذ كلمتى هذه على أنها خدمة للعلم .. وفقنا الله جميعاً إلى طريق الصواب .

صبحى محمود سعيد

١ — فسح لا أفسح :

نبا قلم الصديق الأستاذ البيومى بالعدد (٩٦٢) من الرسالة فى مقاله (بين شوقى وولى الدين يكن) حيث قال . « وأفسح لنا مجال الموازنة والتحليل ، وصوابها — فيما أعلم — وفسح لنا ، ففى التنزيل . « إذا قيل لكم تفسحوا فى المجالس فافسحوا يفسح الله لكم »

٢ — فى العدد :

وفى مقال الأستاذ عطية بالعدد نفسه يقول : (استشهد عشر مواطنين ، خمس من المدنيين ، وخمس من الجنود) وبالرجوع إلى قانون العدد فى اللغة نرى أن الصواب « عشرة مواطنين ، وخمسة من المدنيين ، وخمسة من الجنود »

... وقد صح تعبير الأستاذ بعد ذلك فى السطر نفسه إذ يقول : « وجرح سبعة وعشرون ، وقد فقد الإنجليز ضابطين وسبعة جنود » فإن كان قد ألقى الحديث على عواهنه ، فقد علم القاعدة منذ اليوم

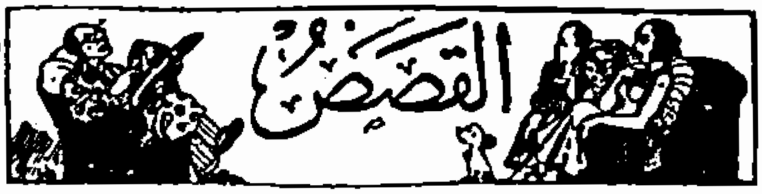
محمد محمد الأبشيهى

خطأ عروضى :

أشكر لأخى الأديب الأستاذ محمد محمد الأبشيهى تنبيهى إلى أن البيت

وتلا الهالكين منهما ... الخ

من قصيدتى (الشحرور المكبوت) ينطوى على خطأ عروضى



بقية حيـــة

للكاتب الروسي تورجنيف

كان تورجنيف خلال صيد يفتش عن ملجأ من المطر في مزرعة لأمه . فهبط كوخا مهجورا ووجد خصا في زاوية من زواياه سرير خشبي يرقد عليه شكل إنساني صغير ، قال تورجنيف: دنوت ولكن الدهشة سمرتني في مكاني . إن إزاني كائنا حيا ، ولكن ما هو هذا الكائن ؟

وجه غاض منه ماء الحياة ، وغشيه لون برنزي كأنما يرى فيه الناظر صورة قديمة قديمة ، وأنف دق مارنه حتى أشبه حد المدية ، وشفتان دقيقتان نحيفتان لا تكادان تحسان ، وعينان لا معتان ، وأسنان بيضاء ، وبعض غدائر شقراء ناست تحت النقاب ، وفي أطواء الفضاء تتحرك ببطء أصابع يدين ووجه لا يسمه القبح ، وإنما هو جميل ، ولكنه غريب مؤثر ، وكان أشد ما أثر في نفسي ما لمحته على الخدين المتصلبين من صورة ابتسامة تجهد نفسها عبثا لتظهر

— ألا تعرفني ياسيدي ؟

تردد ذلك الصوت الذي راح يردده هذا الكائن كنفخة ، تحركت به شفتان بعناء

— إني (لوكريا) هل تذكرني ؟ أنا التي كنت أرسل الأغاني وأثير الضحك عند أمك !

— أأنت « لوكريا » أنت ؟ هذا مستحيل

— أنا هي بذاتها

وما كان لي إلا القول والنظر كالمجذوب في هذا الوجه الأربد، وفي هاتين العينين اللامعتين الشاخصتين بدون حياة .

أهذه المومياء هي (لوكريا) أجمل وأبهى إمائنا ، من كانت بضة الأهاب وردية اللون ، ترقص وتضحك وتمرح وتغني ؟ لوكريا ... الرقيقة التي فتنت رفاقها ، ومن كنت أبسم لها خفية حينما كنت في السادسة عشرة ؟

آه يا لوكريا ماذا أصابك ؟

— حادثة مروعة ، ولكن لا تخش يا سيدي ، ولا تمرك السآمة من حالي . اجلس مني قريبا على هذه الخابية لأنك لا تستطيع الإصغاء إلي بعيدا . أي صوت لي الآن ؟ إني جد مسرورة برؤيتك ...

(وهنا تقص عليه لوكريا قصتها ، وأنهـا في ساعة عرسها

وصحة البيت لولا التحريف في النسخ وتلا هالكيها الخ وأني لأشد اغتباطا بتصحيحه الخطأ مني بالثناء على سائر القصيدة . وإني على مقصديه لشاكر

عبد اللطيف النشار

مهيب لا مهاب :

خطأ زميلنا الاستاذ محمد محمد الأبشيهي ، الأستاذ مطر في قوله من قصيدته (من الأعماق)

تحررنا من الأغـــلال فانهض
سايل المجـــد مرموقا مهابا

ذاهبا إلى أن الصواب (مهيب) لا (مهاب) لأن (مهاب) — كما زعم — (من أهاب به يهيب به . إذا زجره عن الشيء فهو مهاب أي مزجور ... ... الخ

وأقول للزميل الأبشيهي إن (مهاب) بفتح الميم تؤدي المعنى الذي عناه الشاعر ، وما على الأستاذ الأبشيهي إلا أن يرجع لأي مرجع من مراجع اللغة ، وحسبه (مختار الصحاح) فإنه منه على طرف الثمام ...

وتحيتي للشاعر مطر ، وللأستاذ الأبشيهي ...

محمد الغزالي حرب

سقطت عن السلم فأصابها هذا الشلل الذي عطل حركتها . وقد جربوا عبثا أن يجدوا لها الدواء . وأخيرا قادوها إلى هذه المزرعة عند بعض الأقارب)

— وهل تظلين مضطجعة هكذا دائما ؟

— نعم ! وقد مر على سبعة أعوام ، في الصيف أمكث في هذا الخص الصغير ، وفي الشتاء يحملونني إلى مدخل هناك

— ومن يعني بك ويقوم بحاجاتك ؟

— إن هنا رجالا كرماء لا يتركونني ولكن في الغالب لا أحتاج إلى شيء . كدت أستغني عن الطعام والشراب ، وتراني أكثر الأوقات مطروحة جانب هذا الينبوع البارد ، وأستطيع أن أبلغ مقري وحدي ، إذ لا تزال إحدى يدي سليمة . وهناك فتاة صغيرة يتيمة ترافقني كثيرا فليجزها الله مني ! كانت هنا قبل لحظة ، ألم تلاقها في طريقك ؟ إنها غادة شقراء تحمل إلى أزهارا أحبها . كان عندنا من الروضة أزهار ولكنها ذوت . أما أزهار الحقول فهي جميلة أيضا وشذاها أضوع ! ماذا تريد أحسن من ذلك ؟

— ولكن الحياة ، ألا تجدينها كئيبة ثقيلة عليك يا لو كريا البائسة ؟

— ما العمل ؟ لا أقدر أن أكذب . كانت أيام مصابي الأولى أياما ثقيلة قاسية ، ثم ما لبثت أن تعودت ، وللإنسان من دهره ما تعود ، وصبرت وذكرت أن آخرين — هنالك — قد يكونون أحق بالشكوى مني . .

— وكيف ذلك ؟

— من لا مأوى لهم مثلا ، والعميان والصم ! أما أنا — فشكرا لله — أبصر وأرى ، وأسمع ما خفت من الأصوات. إذا شق خلد منفذا في الأرض فإني أسمعه ، وأتروح كل العطور حتى الضئيل منها . لا تزهر شجرة في الحقول أو زيزفونة في الإستان دون أن أخبر بذلك ، فإذا مرت عليها الريح أكون أول كائن يحس ما تنطوي عليه هذه الريح ! لا لا . . ولماذا أذن حظي ؟ هنالك آخرون حظهم أقسى ، وكذلك الأشخاص المعافون تدفع بهم ميولهم كثيرا إلى عمل الشر . أما أنا فالخطيئة تركتني

— وهل أنت وحيدة دائما يا لو كريا ؟ كيف تمطلين لتطاردي الأفكار عن نفسك ؟ وعلى الأقل ألا تنامين كل الوقت ؟

— لا ياسيدي ! لا أستطيع أن أنام . حينا أريد وبدون أن أحس الآلام الكبيرة أجد في أعماق نفسي آلاما مبهمة تتمشى في عظامي ، وهذا ما يحرمني النوم . لا أظل على حالة واحدة هادئة دون تفكير . أحس أنني أحيا . إنني أتنفس ، وهذه كل حياتي ، إنني أنظر وأسمع . تدوي أسراب النحل وتسقط حمامة على السقف وعشي ، ودجاجة تقاسم فراخها فتاتا أو عصفورة أو فراشة تحوم . هذا كله يدخل السرور في نفسي ، ومن عامين طرق السنونو هذا المكان ، وبنى — هنا — عشا ، ما أجمل هذا !

وفي بعض خطراتي أردد صلوات ، ولكني لا أعرف منها كثيرا ، ولماذا أضجر الإله الصالح مني ؟ وماذا أطلب إليه ؟ إنه يعلم حاجتي أكثر مني . إنه أرسل إلي صليبه وهذه علامة محبته لي . أعرف صلاة (يا أبانا) وصلاة (السلام عليك يا مريم) ثم أراني أحلم في شيء . . . وهكذا الزمن يمضي

(وهنا يعرض عليها (تورجنيف) أن يقتادها إلى مستشفى في المدينة ولكنها ترجوه ألا يفعل)

— إنني أعرف يا سيدي أن فيما تعمله خيرا لي ، ولكن هل في الإمكان مساعدة الآخرين ؟ هل يمكن قراءة ما في النفوس ؟ إنما يجب على الإنسان أن يجد مساعدة في نفسه . إنك لا تؤمن به . في بعض خطراتي وأنا مضطجعة وحدي أحس أن لا أحد على الأرض غيري ، وأن لا أحد لي سواي ، وأشعر بأن بركة تتنزل علي — تساورني أفكار تبعث على الدهشة

— وأية أفكار تساورك يا لو كريا ؟

— يستحيل الإفضاء بها يا سيدي ! لأنها مما لا يمكن التعبير عنه . ثم أنساها . ثم يعرض لي ذلك كسحابة تمر فوق . وعندها أحس نداوة تغمرني . ما هذا ! لا أعلم عنه شيئا . ولكني أقول : لو كان واحد معي لما وجد له مكانا . لا أحس شيئا إلا وزيفتي

وهنا تنهدت لوكريا تنهدا شديدا ولكن صدرها لم يسعفها على التنهد أكثر من بقية أعضائها

— سيدى ! إننى هجت فيك حس الشفقة كثيرا ؟ فلا تأسف . أصغ إلى ما سأقوله لك … إنك تعلم ، أو تذكر أننى كنت طلابة المرح كثيرا فى عهدى الأول . وتعلم كم كنت أغنى !

وأنت تغنين أيضا !

— نعم : أردد أغانى القديمة ، أنواعا كثيرة من الأغانى ، أعرف منها كثيرا ولم أنسها . ولكن ألحان الرقص أصبحت لا أرددها لأن حالتى لا تساعدنى

— إنك تغنيها لنفسك بدون شك ؟

— لنفسى … وأرددها عاليا ، قد لا أقدر أن أغنى عاليا جدا ، ولكن سامعها يفهمها . إننى حدثتك الآن عن غادة صغيرة تعودنى. لقد علمتها إياها وأصبحت تعرف منها أربعا ، وعما قليل ترى

تنفست (لوكريا) وهذه الفكرة التى بدأت ترددها هذه الغادة الفانية قد أيقظت فى نفسى هولا لا قبل لى به . ولكنى قبل أن أنبس بكلمة تصاعدت رنة تتعالى بصعوبة ولكنها صافية مستقيمة ملأت أذنى ، ثم رنة أخرى تلتها ثم أخرى … ولوكريا لا تزال تردد :

« فى هذه الروح ، هذه الروح ، فى هذه الروح الجميلة الخضراء » كانت تشدو دون أن تتبدل ملامح وجهها وعيناها لا تتحولان . ولكنها كانت ترسل صوتها برنة مؤثرا ، هذا الصوت الضعيف الذى كان يجهد نفسه متصاعدا كأنه خيط دخان ، متدفقا من كل نفسها . أصبحت لا أحس ذلك الرعب بل حل محله شفقة عنيفة تضغط قلبى

أنت فجأة وقالت :

— لا أقدر … إن قوتى تخوننى . إن فرحى كثير برؤيتك. وهنا أغمضت عينيها ، ولمست بيدى أصابعها الباردة فنظرت إلى نظرة خفية ، ثم رأيت حاجبيها الكثيفين الذهبيين بخطوط ذهبية كخطوط الميا كل القديمة قد أغلقا

كنت بالقرب من الباب عندما ذكرتنى …

— هل تذكر ياسيدى (وقد بدت ملامح غريبة على عينيها وشفتيها) هل تذكر جديلتى الصغيرة ؟ كانت تسقط حتى ركبتى. مضى على ذلك عهد طويل وأصبحت لا أجزم . كانت غدائر جميلة وأنى لى أن أعمل المشط فيها على هذه الحالة ؟ فاضطررت إلى قصها … عفوا ياسيدى … لا أستطيع !

مرت أسابيع معدودة علمت خلالها أن لوكريا غادرت هذا العالم . وهنالك يقصون — أنها فى يوم موتها — كانت تسمع بدون انقطاع نواقيس تقرع . وكانت لوكريا تزعم أن هذا اللحن الذى تسمعه لا يقبل من الكنيسة ولكنه يقبل من العالم الأعلى وكأنها لا تجرؤ أن تقول إنه من السماء

غ . هـ